كتاب اليوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمود عوض

MisrFone

أم كلثوم التي لا يعرفها أحد

الطبعة الثالثة

كتاب اليوم
ثقافة اليوم وكل يوم

يصدر عن
مؤسسة اخبار اليوم

مصر فون
MisrFone

أم كلثوم
التى لا يعرفها أحد

بقلم محمود عوض

مقـــدمة

صــديق لا أعرفه

كم الساعة الآن ؟!

سؤال يقفز الى ذهنى اوتوماتيكيا كلمـــا فكرت فى ام كلثوم ، عندما أستمع اليها تغنى ، تتكلم ، تناقش، بل ـ حتى ـ وهى تستمع ·· اكتشفت ·· أن الوقت قد خـدعنى · عندما امـــد يدى الى شريط من اغانى ام كلثوم اى شريط ·· فاننى اديره لكى اسـتمع منه الى خمس دقائق ، عشر دقائق ، ربع ســاعة ، ولكننى اكتشف فجأة أن الوقت قد جرى منى دون أن ادرى · اكتشف ســؤالا يقفز الى ذهنى فجأة : كم الساعة الآن ؟!·· الساعة السابعة ، الثامنة التاسعة، العاشرة مساء أربع ساعات قضيتها وانا استمع·· الى اغنيــة لم اسمعهــا منذ مدة طويلة ـ منــذ أربع ساعات ـ تصــور !·· وبينما استمع الى ام كلثوم فربما ـ ربما ـ أتنبه الى الوقت من جديد قرب منتصف الليل ايه ؟! كم الساعة ؟! منتصف الليل ؟! لا·· لا·· هذا كثير !··

ولكن لا يوجد كثير عندما تستمع الى أم كلثوم ، لم يعد هناك كثير من التصفيق كثير من الانفعال ٠٠ كثير من الوقت ٠٠ تحول الكثير الى شيء عادى روتين ٠ عادة بل اننى اعــرف صديقا يحدث له اكثر من هذا عندما يستمع الى أم كلثوم ٠ اذا أعطيت لصديقى هذا كرسيا وطلبت منــه أن يجلس عليه ٠٠ فانه سوف يجلس ٠٠ ســاعة ، يوما ، اسـبوعا لو لزم الأمر ٠ صديقى لن يطلب منك شيئا أكثر من الطعام و ٠٠ اسطوانات أم كلثوم !٠٠

اننى لا أعرف صديقى هذا ٠ أعرف فقط أن اسمه هو (م) ٠ هذا اسمه ـ ميم ـ ٠٠ نقطة ٠ لأننى لا أستطيع كتابة أسماء مليون شخص ، مائة مليون شخص، يفعلون ما يفعله صديقى هذا عندما يستمعون الى أم كلثوم ٠٠

هؤلاء ٠٠ هم جمهور أم كلثوم

ومنذ وقت طويل مضى ، اعتادت أم كلثوم على هذا الحب من جمهورها، انها تستمع منهم الى التصفيق ٠ ثم ماذا بعد ذلك ؟ التقــدير ٠ ثم ماذا ؟ الشهرة الاعجاب ، الحب ـ نعم ـ ثم ماذا أخيرا ؟ التصفيق من جديد ٠٠ هذا كل شيء ٠٠

ومعنى ذلك أننا لم نعرف أكثر من١٥٪ من أم كلثوم، لم نشاهدها سوى كل ليــلة خميس تغنى فيها ، هذا كل ما نعــرفه ٠ أما حياة أم كلثــوم ـ شخصية أم كلثوم ـ ابتداء من الجمعــة الى الاربعاء ، من الصباح الى المساء ، من الفجر الى العشاء ٠٠ فلم نعرف عنها الكثير بعد ٠ مازالت شخصية أم كلثوم تحتاج الى اكتشاف٠٠ الى تحليل٠٠ الى اعادة نظر٠٠

اكتشاف آخر ان أم كلثوم هى السبب فى هــذا كله ! ٠٠

لقد اقامت أم كلثوم سورا صينيا حول شخصيتها، سورا عاليا ٠٠ سورا يحجب ما فى داخله خلف هذا السور تحتفــظ أم كلثوم بحياتهــا الخاصة ، بشخصيتها الخاصة ، بأفكارها الخاصة ٠ ان أم كلثوم قد اتخذت قرارا اختياريا سابقا أن تعيش حياتهــا بين قوسين ٠٠

وشيئا فشيئا بدأت أحاول اقناع أم كلثوم أن تفتح القوسين ، أن تفتح باب السور حتى يعرف الناس كل حياتها ، كل شخصيتها ، كل تفكيرها • شهر وشهر•• وسنة •• ثم بدأت أم كلثوم تتكلم ، بدأت تتكلم – بعد سنة – لكي تروى لي أشياء كثيرة جدا •• أشياء أستطيع تلخيصها تحت عنوان واحد : لاشيء!•• ولا حرف ، ولا كلمة ، ولا – حتى – وعد بكلمة

ولكنني حاولت من جديد مرة •• ومرة ومرة • ثم – أخيرا – بدأت أم كلثوم تتكلم • تتكلم فعلا

فى هذه المرة كان حديثى مع أم كلثوم يبدأ على أساس أنه سيستغرق نصف ساعة – بالكثير ساعة – ولكن •• ها هو السؤال من جديد يقفز الى ذهني تلقائيا كم الساعة الآن ؟ لحظتها اكتشفت أن الساعة قد توقفت منذ ساعة ، ساعتين ، ثلاث ، أربع – أحيانا خمس – ساعات !••

وفي كل مرة كنت أعود الى الاوراق التى كتبتها من حياة أم كلثوم • اعادة نظر • ماذا في يدى ؟ أوراق – نعم – ولكن•• ياه ! كل هذه الصفحات••؟ كل هذه الاسرار عن شخصية أم كلثوم ؟••

ان أم كلثوم بدأت حياتها من لا شيء أقل من لا شيء•• من الصفر •• من تحت الصفر •• ولكنها استطاعت أن تصل الى قمة لم يصل اليها أحد ، ثم استمرت فى وقت لا يستمر فيه أحد •• وفيما بين النقطتين – القاع والقمة – واجهت أم كلثوم مواقف كثيرة : الفقر ، الجوع ، الحرمان ، الشقاء اليأس الهزيمة ، السقوط ، الفشل ، الألم ، العذاب – كثيرا من العذاب، ثم – بعد وقت طويل – النجاح ، مواقف لا يعرفها أحد ••

فيما بين القاع والقمة كان فن أم كلثوم هو – في الواقع – الطريقة التى عاشت بها ، حياتها نفسها•• هى الفن فن أم كلثوم هو حياتها ، وحياتها هى شخصيتها ، وشخصيتها هى – من جديد – المفتاح الرئيسى – لفهم أم كلثوم • ان أم كلثوم هنا هى

نموذج ، هى رمز ، رمز لشخصية ، لحياة ، لمجتمع ، لظروف هذا المجتمع ٠
و
الصفحات القادمة هى حصيلة هذا كله حصيلة أفكار أم كلثوم ٠٠ وأفكار المجتمع عن أم كلثوم ٠ نصفها مذكرات منها ، ونصفها مذكرات عنها ٠ حل وسط

في هذه النقطة أريد أن أنبه الى شىء هام : اننى أعشق صوت أم كلثوم ، ولكننى لاأعبده فى الواقع اننى أنتمى الى جيل جديد لا « يعبد » أحدا جيل يحب ، يعجب ، يعشق ٠٠ ولكنه لا يفعل ـ حتى هذا ـ الا بعد أن يفهم ويناقش جيل يرفض استثناء أحد من المناقشة ٠٠ والمراجعة

وأم كلثوم نفسها متفقة معى فى هذه النقطة بل انه فى مكانين على الاقل من هذا الكتاب حدث خلاف فى الرأى بين أم كلثوم وبينى٠ مازال الخلاف قائما ٠

ولكننى أومن بأننى اذا كنت معجبا حقا باحد٠٠ فيجب أن أعبر عن هذا الاعجاب وأنا واقف على قدمى ٠٠

ان أم كلثوم نجحت فى أشياء كثيرة سوف تسجل الصفحات القادمة جزءا منها ٠٠

وفشلت أم كلثوم فى أشياء قليلة ، سوف تسجل الصفحات القادمة معظمها ٠٠

ولكن ٠٠ يبقى فى النهاية شىء واحد ٠ لقد فشلت أم كلثوم فى شىء أكبر من هذا كله فشلت فى أن تكون امرأة عادية !٠٠

بهذا السطر أعلن انسحابى مؤقتا حتى أجلس فى مقاعد القارىء لصفحات٠٠ من مذكرات أم كلثوم ٠٠ مذكرات منها وعنها مذكرات الى صديقى المجهول « م » ٠٠ ميم ٠٠ نقطة ٠ مليون مستمع ـ مائة مليون مستمع ـ يعشقون أم كلثوم !٠٠

محمود عوض

من مذكرات أم كلثوم

سنوات السير على الأقدام

مصرفون
MisrFone

«.. كانت أول حفلة غنيت فيها مزدحمة جدا بالناس. لقد حضرها خمسة عشر شخصا» !!

أم كلثوم

كانت فاطمة تقيم فى بيت ريفى صـــغير من الطوب النىء البيت له عدة أبواب تطل على حــــوش وراء كل باب حجرة صغيرة طولها ثلاثة أمتار وعرضها متران تقيم فيها أسرة مكونة من زوج وزوجته وعدة أطفال

وفى احدى هذه الحجرات رقدت فاطمة المليجى تتلوى من الألم فى انتظار الملود

ومع الفجر أطلت المولودة برأسها وحملت الداية القروية المولودة وخرجت بها الىالمندرة وهى تصرخ مبروك فاطمة ولدت! ولم تقل الداية أن فاطمة أنجبت طفلة ٠٠ فقد خشيت أن يصطدم الأب بالخبر !٠٠

وكان الأب يجلس على الارض يقرأ كتابا عن أولاد النبى وكانت عيناه فى تلك اللحظة على اسم احدى بنات النبى ، وقبل أن يسمع أنه رزق بمولود او مولودة صاح نسميها باسم بنت النبى نسميها أم كلثوم !٠٠

ولم يكن اسم « أم كلثوم » معروفا ولا متداولا فى قرية(طماى) ولا القرى المجاورة ، ولهذا بدا اسما غريبا على أسماعهم ٠

ولم تعارض فاطمة فى اختيار هـــــذا الاسم ولكن الأهل والأقارب اعترضوا على الاسم الغريب ، وراحوا يحاولون اقناع الشيخ ابراهيم باختيار اسم خفيف مثل خضرة وبدوية وست الدار !٠

ورفض الشيخ هذه الاسماء لقد أصر على أن يسمى المولودة باسم بنت النبى أم كلثوم !٠٠

ويظهر أن أمى كانت تشارك أهل القــرية سرا فى اعتراضهم على اسم « أم كلثوم »٠٠ لأننى وعيت عليها وهى تنادينى باسم « سومة » وكان والدى أيامها امام مسجد فى قرية « طماى

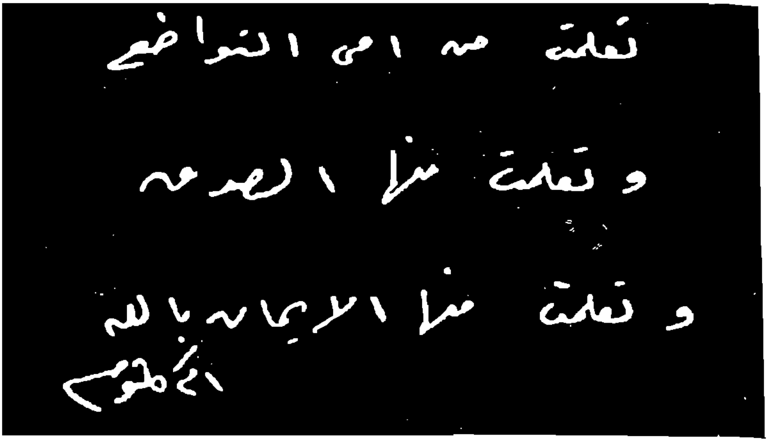
تعلمت من أمي التواضع

وتعلمت من أبي الصدق

وتعلمت من أبي الإيمان بالله

أم كلثوم

صفحـــة من مذكرات أم كلثوم بخط يدها .

الزهايرة » من أعمال مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية ، وكان مرتبه من الامامة لا يكفى للصرف على أسرته ، ولهذا كان يقرأ القرآن فى الموالد ان مجموع دخله من عمله الاصلى وعمله الاضافى لم يكن يتجاوز عشرين قرشا ٠٠ !

وكان هذا المبلغ هو الذى يغطى كل شهر نفقات أسرة مكونة من أمى وأبى وأخى خالد ٠٠ وأنا !٠٠

ولا أعرف كيف كنا نعيش بهذا المبلغ البسيط فان صورة معيشتنا المتواضعة لا تعيش فى ذاكرتى ان أول صورة أذكرها اليوم هى صورة « ستى نصرة » أم أبى كانت نحيفة سمراء، مسمسمة التقاطيع ، اننى مازلت أذكرها وقد ارتدت جلبابا أسود وطرحة سوداء وجلست على الارض تفصل لى عروسة منالقماش وأنا جالسة مسحورة ! أذكر أنها لما انتهت من تفصيل العروسة وملأتها بالقطن رسمت عليها العينين والحاجبين والشفتين ثم قطعت خصلة من شعرها ولصقتها على رأس العروسة وأنا أرقب عملية الخلق فى دهشة واعجاب !٠٠

ولاحظت أن أخى كان يحمل كتبا وكراسات كل صباح ويذهب الى الكتاب المواجه لبيتنا فذهبت أبكى لأمى وأطالبها بادخالى الكتاب !٠٠

MisrFone

الفتاة القروية ام كلثوم ابراهيم فى سنواتها الغنائية المبكرة   صورة التقطت
لها سنة ١٩٢٤ ولا توجد نسخة منها عند ام كلثوم

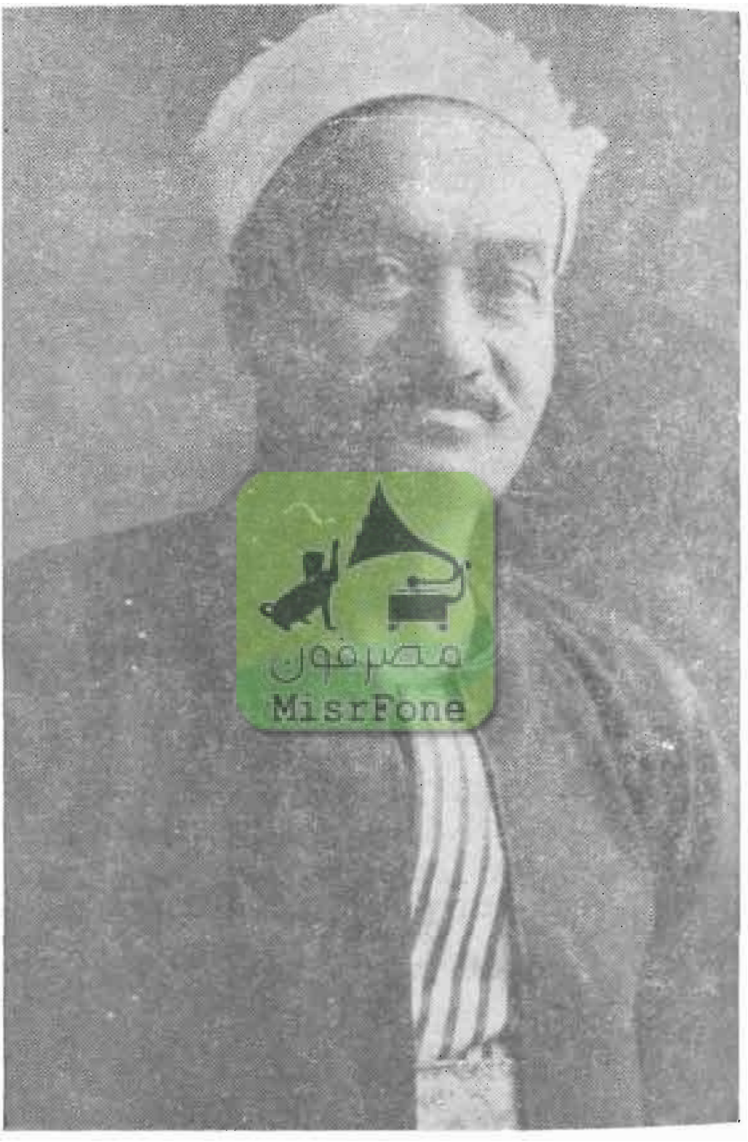

الشيخ ابراهيم .. والد أم كلثوم

وقالت أمى انت صغيرة السن !٠٠

ولكنى رحت أذرف الدموع والح على ابى أن يدخلنى الكتاب !

وتعب ابى من الحـــاحى فادخلنى « كتاب » سـيدنا الشيخ عبد العزيز !٠٠

وكنت أذهب كل صباح الى الكتاب واجلس فى الفصل دون أن أتعلم شيئا !٠٠

وكنت سعيدة بدخولى الكتاب فقد اصبحت لى كل مظاهر أخى الكبير ، ولم أتنبه الى انه كان يتعلم٠٠ بينما كنت انا أتفرج ! وبعد بضعة أشهر سمعت ابى يهمس لأمى عقب صلاة الفجر مرة ! انا ما اقدرش ادفع مصاريف أم كلثوم ٠٠ ما عنديش غير قرش واحد ادفعه للولد ٠٠

وراحت أمى تلح على ابى وترجوه أن يبحث عن اى طريقة يدبر بها قرشا آخر حتى لا ينكسر قلبى لقد كانت مصاريف الكتاب قرشا واحدا ادفعه كل اسبوع لسيدنا فقى الكتاب !

واستطاع ابى أن يدبر هذا القرش ولم أخرج من الكتاب

وتحولت مع الايام من متفرجةالى تلميذة بعد أن رايت زملائى فى الفصل يكتبون ويقراون وبدأت اتتبع دروس الشيخ عبد العزيز بعد أن كنت اتتبع حركاته ونظراته !٠٠

وفجأة٠٠ طارت سعادتى ! وكرهت التعليم والشيخ عبدالعزيز

فقد حدث أن اســـاءت لى زميلتى وجارتى على التخته » التلميذة عزيزة ٠٠ فقررت أن أنتقم منها ٠

وذهبت قبل موعد بدء دخول التلاميذ الى الكتاب وفتحت درج عزيزةوكسرت لوح الاردواز الذى تكتب عليه ٠

وفجأة دخل مفتش وزارة المعارف ! فقفزت من مقعدى وضربت له السلام !

وسأل المفتش عن الشيخ عبد العزيز فقلت له انه لم يحضر بعد ٠٠

وحضر الشيخ عبد العزيز بعد فترة من انتظار المفتش الذى كان يتميز غيظا من تأخر الشيخ !٠٠

ولما جاء الشيخ قال له المفتش ما شاء الله! البنت الصغيرة تحضر فى الميعاد ٠٠ وحضرتك تتأخر نصف ساعة !

وضاق الشيخ عبد العزيز بهذا اللوم ، وحملنى مسئوليته وراح يضطهدنى ، فى كل مناسبة كان يسأل السؤال ثم يتجه نحوى دائما ويقول ساخرا قومى جاوبى يا بنت يا فالحة !٠٠

وكان زملائى وزميلاتى يغرقون فى الضحك كلما سمعوا كلمة « فالحة » !٠٠

وضاقت الدنيا فى وجهى ! وأصبحت أكره الذهاب الى الكتاب حتى لا أقع فى قبضة الشيخ عبد العزيز وأسئلته !٠

وفى يوم من الايام فتحت لى السماء أبوابها
لقد مات الشيخ عبد العزيز فقيه الكتاب !

ولم أصدق النبأ تصورت اننى أحلم ! ذهبت الى الكتاب فقالوا لى ان سيدنا قد مات فلم أصدق ، ذهبت الى بيته ، رأيت دموع زوجته وأمه وابنته فلم أصدق !٠٠ ولما سارت جنازته وراء نعشه حتى المدافن ، انتظرت حتى اخرجوه من النعش وأدخلوه المقبرة وواروه التراب !٠٠

لقد كنت أتصور أن الشيخ عبد العزيز من الشخصيات التى لا يمكن أن تموت ! كنت أتصور انه سيطل برأسه فجاة من القبر ويقول لى

قومى جاوبى يا بنت « يا فالحة » !٠٠

ولكن سيدنا الشيخ لم يطل برأسه من تحت التراب !

وتوهمت أنهم دفنوا التعليم فى القبر مع الشيخ عبد العزيز ! تصورت أن عصر الذهاب الى الكتاب قد انتهى ولن يعود ، تصورت أنه مخترع فكرة التعليم

ولكن سعادتى طارت منى مرة أخرى !

لقد فوجئت بأن سيدنا الشيخ عبد العزيز لم يكن الفقيه الوحيد فى الدنيا ! فوجئت بأن التعليم لم يدفن معه فى القبر كما تصورت !

فوجئت بانه لايزال هناك « أسياد » على قيد الحياة يعلمون فى الكتاتيب !٠٠

لقد اغلق كتاب سيدنا الشيخ عبـــد العزيز أبوابه وبقيت كتاتيب أخرى مفتوحة الابواب !..

وأصدر والدى أمره الذى لا يقبل مناقشة بأن انتقل مع اخى خالد الى كتاب آخر يبعد عن بلدتنا حوالى ثلاثة كيلومترات .. انه كتاب عزبة « الحوال » بالسنبلاوين

وكنا نمشى كل صباح ثلاثة كيلومترات الى الكتاب ، ثم نمشى ثلاثة كيلومترات أخرى الى قريتنا ! أى اننى كنت اقطع كل يوم ستة كيلومترات مشيا على الاقدام ! ولكنى فى الواقع كنت أقطع عادة سبعة أو ثمانية كيلومترات بسبب حبى للمغالطة !

فقد انضم لنا صابر ابن زوج أختى ، وعمرو وهو من قرية مجاورة وكنا نحن الاربعة نلعب لعبـــة كرسى السلطان اثناء عودتنا من الكتاب كان كل ثلاثة منا يحملون الرابع من عمود تليفون .. الى عمود تليفون !

وكنا نختلف عشرات المرات ! كان كل منا يدعى أن هذا دوره فى الجلوس على كرسى السلطان !.. وكنت أكثرهم مغالطة واصرارا على أنى صاحبة الدور! ولذلك كنا نرجع عشرات المرات الى أعمدة التليفون التى مررنا بها لنبدأ الرحلة من جديد ، ونرضى الطفل الذى ادعى دوره فى الجلوس على كرسى السلطان!

وبدأت أحب الكتاب من جديد لأننى كنت احب لعبة كرسى السلطان !..

وبدأت مقاومتى للتعليم تتكسر خصوصـــا ان فقيه الكتاب الشيخ ابراهيم وأولاده لم يضطهدونى كما كان يفعل سيدنا الشيخ عبد العزيز ! لم يقـــل لى « الاسياد » الجـــدد قومى يا بنت يافالحة ! لم يسخر منى سيدنا ! لم يركز أسئلته فى الفصل على أم كلثوم ، الا اذا رفعت اصبعها وأبدت استعدادها للاجابة !..

وبدأت أحب أســـاتذتى .. وحبى لهم جعلنى أحب التعليم وأحب الذهاب الى الكتاب !..

وكانت حياة طفولتى سعيدة مليئة بالضحكات ـ مع الفقر ـ الى أن صحوت فى فجر أحد الايام على صوت همسات بين أمى وأبى !..

سمعت أمى تسأل أبى عن سر قلقه طوال الليل ! وسمعت أبى يقول لها العيد جاى !.. ومش قادر أجيب للاولاد جلاليب جديدة فى العيد !..

واحسست بآلام أمى وأبى !٠٠

وعندما طلع النهار ذهبت الى أمى وقلت لها أنا مش عاوزة جلابية على العيد ٠٠ جلابيتى القديمة حلوة قوى ونفسى البسها فى العيد !٠٠

وبكت أمى٠٠ وراحت تمطرنى بقبلاتها وشعرت وأنا محاطة بذراعيها اننى أرتدى أجمل فستان فى الدنيا !٠٠

★ ★ ★

ومن الصور التى تعيش فى ذاكرتى صورة أبى وهو جالس على الارض يعلم أخى قصة مولد النبى والقصائد والتواشيح ليساعده فى عمله الاضافى الذى يقوم به

واذكر اننى لم اكن أهتم بالجهود التى يبذلها أبى لتعليم أخى وتحفيظه هذه القصائد ، كنت فى شغل عنها باللعب مع اجمل فتاة فى الدنيا عروسة جدتى !٠٠

ولكن يظهر أن التكرار بدأ يتحـــكم فى ذاكرتى ، لأننى بدأت وعمرى خمس سنوات أقلد أبى من وراء ظهره٠٠ أقلده وهو يعلم أخى خالد !٠٠

وفى أحد الايام ضبطنى أبى ! ووقف وراء الباب يرقبنى وأنا أقلده ! فلما انتهيت من تقليده قال لى تعالى معايا الى حفلة شيخ البلد !٠٠

قلت له لا موش عاوزة أروح !٠٠

فراح أبى يغرينى بالكراملة التى أحبها فعاندت ورفضت !٠

ولكن لما بدأ يلوح لى بصحن المهلبية الذى أعشقه ذاب عنادى ووافقته على أن أذهب معه الى الحفلة !٠٠

وكانت الحفلة مزدحمة بالناس ٠٠ فقد بلغ عدد الذين حضروها حوالى خمسة عشر شخصا وكان هذا العدد بالنسبة لى هو الزحام الضخم !٠٠

وطلب منى أبى أن أجلس بجانبه على الكنبة الخشبية وأغنى كما هى عادة المغنية فى ذلك الوقت ! ولكنى رفضت الجلوس ، وأصررت على الوقوف فوق الكنبة وبدأت أغنى !٠٠

ولم يساورنى الخوف ! لم اضطرب أمام الجماهـــير ! لقد وقفت وغنيت بلا اهتمام وكأنى أغنى لعروستى الصغيرة !٠٠

اننى أخاف اليوم من الجمهـــور الذى يعرفنى وأعــرفه وأحسب له ألف حساب وأنا أواجهه لكن لما كان عمرى خمس سنوات كنت أكثر ثقة بنفسى من اليوم ! ويظهر أن التجربة هى التى تعلمنا الخوف !٠٠

وبعد خمس دقائق انتهيت من غنائى وسمعت لأول مرة فى حياتى تصفيق الناس ! ولكن هذا التصفيق لم يهـــزنى ! فقد التفت الى أبى وقلت له فى لهفة فين بقى اللى قلت لى عليه ؟ فين « طبق المهلبية » ؟!٠٠

★ ★ ★

وكان بين الذين حضروا هـــذه الحفلة بعض أهالى مركـــز السنبلاوين الذين طلبوا من أبى احضارى معه الى حفلتهم المقبلة٠

وذهبنا الى السنبلاوين مشيا على الاقدام مشـــينا ثلاثة كيلومترات ٠ وتناوب افراد التخت حملى على أكتافهم كلما شكوت من التعب !

وقادنا صاحب الحفلة الى منزله الصغير

لم أدخل المنزل وحدى !٠٠

كنت أحتضن قطتى الصغيرة التى كانت تؤنسنى وتبـــدد وحدتى كانت هذه القطة صديقتى ! كنت أحدثهـــا عن متاعبى الصغيرة وأحلامى الكبيرة ٠٠ وكانت تنصت الى باهتمام !٠٠ وفجأة تركتنى القطة ودخلت تحت كنبـــة من الخشب ! فزحفت وراءها وجلست معها تحت الكنبـــة ! ويظهر أنى جلست تحت الكنبة مدة طويلة ٠٠ فقد راح والدى يبحث عنى دون جدوى !

ولما خرجت القطة من تحت الكنبة ، خرجت وراءها ! وتلقفنى والدى وأجلسنى بجانبـه وطلب منى أن أغنى ! ورفضت للمرة الثانية أن أغنى جالسة ٠٠ أصررت على الوقوف !٠٠

وكان جمهور هذه الليلة أكبر من جمهور الليـلة السابقة كان عددهم عشرين شخصا ! ولكنى لم أشعر بهذا الجمهور الكبير ولم أهتم به ! كنت أغنى وأنا أحلم ٠٠ كنت أحلم بطبق المهلبية الذى ينتظرنى !٠٠

وتوالت الحفلات

ولم اسمع من ابى وابى فى يوم من الايام شكوى بصوت مسموع من الفقر والحرمان الذى نعيش فيه ، كانا يحاولان دائما اخفاء الضيق عنا ·· وكانا لايكشفان عن هذا الضيق الابهمسات بعد صلاة الفجر عندما يتصوران اننى واخى نائمان لانسمع شيئا !

ولكن هذه الهمسات الحزينة عاشت معى ! كانت تدوى فى اذنى كنت أتصور أن ازمة أمى وابى فوق قدرتى ! كنت اتصور أن كل ما استطيع أن اقدمه لأمى هو أن اتطلع الى السماء واقول: يا رب ساعد أمى !··

ولم يخطر ببالى أننى سأستطيع فى يوم من الايام أن اكسب قرشا أساهم به فى تخفيف أزمات أمى !··

ولكن فى ذات ليلة وجدت فى يدى كنزا !··

★ ★ ★

لقد أعطانى صاحب الحفلة الذى غنيت عنده قطعة فضية من ذات العشرة القروش ! وأطبقت أصابعى الصغيرة على القروش العشرة فى حرص وكأننى أمسك الدنيا كلها بيدى !··

عشرة قروش !··

لقد بدت لى فى تلك اللحظة انها اكثر من مال قارون ! وتصورت أن العشرة القروش التى اقبض عليها باصابعى ستحل كل أزماتنا المالية !··

لقد شاءت الظروف بعد ذلك أن أمسك بأصابعى الوف الجنيهات ولكن هذه الألوف لم تهزنى ولم تبهرنى كما هزتنى وبهرتنى العشرة القروش ··

وحملنى احد المشايخ على كتفه ليعود بى الى القرية !

واستغرقت فى نوم لذيذ مريح وانا قابضة بكل قوتى على الثروة الضخمة ! ولما وصلت الى أمى فتحت أصابعى واعطيتها مال قارون! واحسست بذراعيها وهى تضمنى فى حنان·· واستغرقت فى نوم عميق لذيذ ··

لم يعد ابى يقصر جهوده على تدريب اخى خالد على الغناء·· بدأ يدربنى انا أيضا !

وذاع صيت الطفلة الصغيرة فى القرى المجاورة ! وخرج هذا الصيت وراء الحدود ·· حدود القرى المجاورة ! وطالت

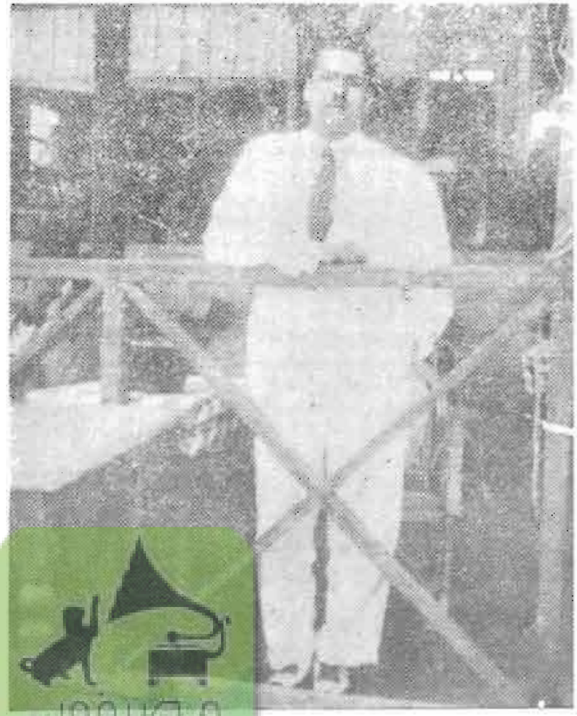

خالد.. شقيق أم كلثوم في سنوات شبابه وهو يستجم في راس البر
ان وفاة خالد سببت لام كلثوم الى ازمة نفسية عرفتها في حياتها

المسافات التي كان يجب أن نقطعها مشيا على الاقدام وارتفع دخلنا حتى أصبح في قدرتنا أن نركب قطار السكة الحديد .. ولكن في الدرجة الثالثة !

ومازلت اذكر السعادة التي شعرت بها وانا أركب القطار لأول مرة في حياتي كان القطار المسافر من محطة السنبلاوين الى محطة أبو الشقوق ودخلت عربة القطار ، ووقفت على المقعد أطل من النافذة ووالدي يمسك بذيل ثوبي ! ثم فوجئت بمنظر غريب أثناء سير القطار ! لقد بدأت أشجار النخيل وأعمدة التلغراف تجري امامي ! لقد هزني هذا المشهد العجيب الى درجة أنه لما وقف القطار في محطة « أبو الشقوق » أمسكت بالنافذة ورفضت النزول !

ووعدني والدي أني ساعود الى ركوب القطار غدا ولكني رفضت أن أصدقه ! وهنا أقسم لي بالله فصدقته ، ونزلت من القطار !

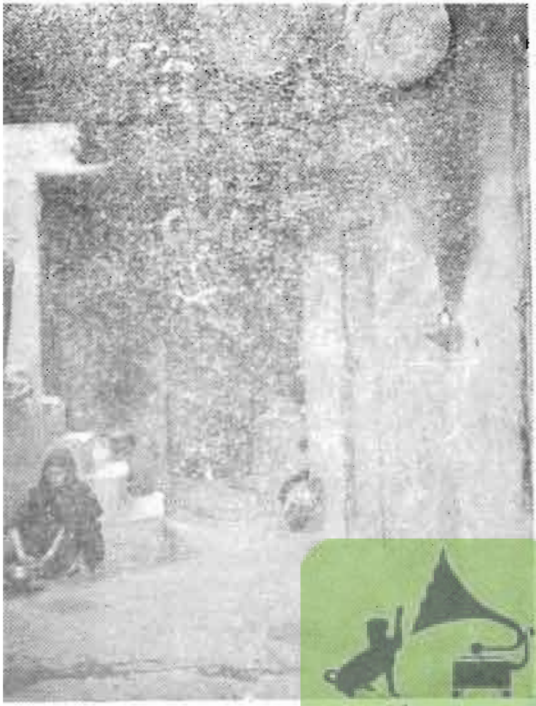

فى هذا البيت ولدت ام كلثوم وعاشت طفولتها ، ولم يدرى احد ان هذه الطفلة ستتربع يوما ما على قمة المجد الفنى .

وذهبنا الى الحفلة وكانت مقصورة على القادرين ،فان ثمن التذكرة كان قرشا !

وافتتحت الحفلة بخناقات بين الجمهور استغرقت ساعة كاملة وبدأت اغنى التواشيح فعاد الخناق واستمر ساعة أخرى

ودامت الحفلة أربع ساعات منها ثلاث ساعات ونصف ساعة خناقات ومعارك بين المتفرجين واستغرق الغناء نصف ساعة فقط !

وكانت الخناقات والمعارك من لوازم الافراح فى الريف ولهذا كان محصولنا الغنائى لا يتجاوز عادة أكثر من نصف ساعة ..

وفى بلدة « ميت رومى » فى البحر الصغير بشمال الدلتا وقعت لنا مفاجأة لم نحسب حسابها !

بدأنا الغناء، فلم يتخانق أحد ! تركنا الجمهور نغنى بلامقاطعة ولا معارك ! وغنينا كل ما عندنا فى نصف ساعة .. والمفروض أن تستمر الحفلة الى الفجر ! وتصور أبى أن ساعته قد توقفت

ثم رأى العقرب يتحـــرك ! وحار أبى وأفراد التخت كيف يواجهون هذه المفاجأة ! وقرر أبى أن نعيد على المستمعين نفس التواشيح التى سمعوها منذ نصف ساعة ! ولم يحتج الجمهور على الاعادة والتكرار

ورحنا نعيد نفس التواشيح للمرة الثالثة والرابعـة والخامسة والسادسة !

وبعدها بدأ والدى يستعد للمفاجآت بدأ يستعد للحفـلات التى لا يتعارك فيها الجمهور ولا يتضـارب ! وبدأ يمرننا على حفظ أغانى جديدة زيادة على الاغانى التى كنا نكررها فى كل حفلة ولاتستغرق فى مجموعها أكثر من نصف ساعة !

وفى ذات يوم ذهبنا الى الغناء فى قرية مجـــاورة للقرشية بالقرب من مدينة طنطا

وقبل بدء الحفلة قادنا صاحبها الى السرادق الذى سنغنى فيه وأشار الى فانوس وقال لنا لما ينكسر الفانوس ده ·· ادخلوا الحجرة دى !

ولما ظهرت على وجه أبى علامات الدهشة قال الرجل بقى أنا لاباجوز ابنى ولا بنتى ! جايبينكم علشان أهل البلد المجاورة يحضروا نقوم نضربهم !

ولما بدأت أغنى ، كنت أغنى الفانوس ! كنت أقول للفانوس سبحان من أرسله رحمة لكل من يسمع أو يبصر ! وكنت أركز عينى وعقلى وكل حواسى فى هذا الفانوس ·· حتى أهرب عندما ينكسر !

وفعلا انكسر الفانوس !

وبدأ الضرب بالعصى والنبابيت !

وبعد انتهاء الخناقة خرجنا من المخبأ وفوجئنـا بأن أهل القرية المجاورة هم الذين ضربوا الذين أعدوا الكمين لضربهم !

★ ★ ★

ولم تكن متاعبنا مقصورة على المعارك والخناقات كانت بعض متاعبنا بسبب بساطة بعض أهل الريف

وحدث أن اتفق معنـــا أهالى قرية مجاورة لمركز نبروه على احياء فرح فيها ·· ومشينا عدة كيلومترات من قريتنا الى مركز

السنبلاوين ثم ركبنا القطار الى المنصـــورة ، ثم ركبنا قاربا صغيرة عبر بنا النيل الى طلخا ، ثم ركبنا قطار الدلتا الى نبروه

ولم نجد أصحاب الفرح فى انتظارنا كما هى العادة

وبرر والدى هذا التصرف بأنه لابد أن أهل الفرح انشغلوا فى اعداد الفرح ·

واستأجرنا مطايا « حميرا » وذهبنـــا بها الى القرية التى سيقام فيها الفرح ، وسألنا عن بيت صاحب الفرح فقادونا اليه ·

ودار الحديث التالى بين والدى وصاحب الفرح

والدى انتم نسيتونا والا ايه ؟··

وسكت صاحب الفرح

والدى يعنى لم ترسلوا « ركوبة » الى المحطة !

وسكت صاحب الفرح ، وظهرت على وجهه علامات الدهشة

والدى موش النهاردة الخميس ميعاد الفرح ؟

فأجاب صاحب الفرح ببساطة

ـ ما احنا أجلناه !

والدى أجلتم ايه ؟

ـ أجلنا الفرح !

والدى طيب ما أرسلتش لنا خبر ليه ؟

وعادت الدهشة الى وجه صاحب الفرح وقال كل البلد عارفه ان الفرح تأجل ! ولد يا خليل ؟ ولد يا حسين ؟ ولد يا سيد ؟ موش احنا أجلنا الفرح ؟

وهز القرويون خليل وحسين وسيد رؤوسهم بالموافقة

وقال صاحب الفرح ببساطة شايفين ! كل الدنيا عارفه اننا أجلنا الفرح !

ورجعنا كما حضرنا ! عدنا الى محطة نبروه ثم ركبنا قطار الدلتا الى طلخا ، ثم عبرنا النيل بالقـارب الى المنصورة ، ثم ركبنا القطار الى السنبلاوين ثم مشينا على الاقدام الى قريتنا الصغيرة !

وكان والدى يتتبع باهتمـــام تصرفات كبار المطربين والمطربات حتى أقلدهم وأوهم الناس اننى مطربة كبيرة !

مصر فون MisrFone

واكتشف أبى ذات يوم اكتشـــــافا هاما ! اكتشف أن الشروط الغنائية تنص على أن المطرب « الصييت » الشــــيخ حسن جابر يشرب الكازوزة فى الحفلات ! فأضاف الى عقــــودنا بندا جديدا يتعهد صاحب الحفلة بتنفيذه

وكان هذا البند هو أن يتعهد الطرف الاول بأن يقــدم للطرف الثانى « أم كلثوم » زجاجة كازوزة !
ومافيش حد أحسن من حد !

وكنت سعيدة بحياتى ! سعيدة بالحمار الذى أركبه وطبق المهلبية الذى التهمه ·· وزجاجة الكازوزة التى اشربها !

وبدأت شهرتنا تملأ الآفاق ! وكانت الآفاق هى القرى المجاورة لمركز السنبلاوين ! ووصل أجرى مع الفرقة التى تتألف من خمسة من المشايخ الى مائة قرش عن كل حفلة نقيمها !
وبدأت شهرتنا تزحف !

وعندما ارتفع أجــــر الفرقة من مائة قرش الى مائة وخمسين قرشا أصبحنا أثرياء

ورأى أبى أن نقــــلد الاثرياء ! انهم يلتقطون لأولادهم صورا فوتوغرافية ·· فلماذا لا نذهب نحن أيضا الى المصوراتى ؟

وذهبنا الى مصوراتى فى مدينة الزقازيق وأصبت انا وأخى بنوبة منالضحك أمام المصوراتى ! فقد كان المصوراتى يقف وراء الكاميرا تحت الملاءة السوداء وكان منظرا غريبا جعلنا نغرق فى الضحك !

وراح المصوراتى يرجو أبى أن يمنعنى انا وأخى من الاستمرار فى الضحك حتى يلتقط الصورة ·· فان أصول التصوير يومهـــا كانت تقضى بالا يضحك أبدا صـــــاحب الصورة ! يجب أن يقف جامــدا كالتمثال حتى يلتقط المصور صورته ! وبعـــــد محاولات متكررة تحولنا الى تماثيل ! والتقطت أول صورة لنا !

وكان أبى غير مستريح لفكــــرة اشتغال ابنته بالغناء كان لا يمانع فى أن يغنى ولده أما أن تغنى ابنته فلا !

وكان هذا هو السر فى العقال الذى وضــعته على رأسى عدة سنوات ، كان والدى يريد أن ينسى أن ابنته هى التى تغنى كان يريد أن يوهم نفسه أن أم كلثوم ولد لا بنت !

ومسحت «بقدمى الصغيرتين القطر المصرى قرية قرية قبل أن أضع قدمى فى القاهرة

وشاء حظى أن أترك فى كل قرية عددا من المعجبين بصوت الطفلة الصغيرة !

ورأى والدى أن يستغل نجاحى وشهرتى فأصر على فرض شرط اضافى على أصحاب الحفلات فى القرى المجاورة !

وكان الشرط الاضافى هو أن يتعهد صاحب الحفلة بأن يقدم لنا حميرا تحملنا من قريتنا الى مكان الحفلة ذهابا وايابا !

وكان « الطرف الاول » ينفذ نصف الاتفاق ويهرب من تنفيذ النصف الثانى !

كان أصحاب الحفلات يرسلون لنا الحمير لتحملنا الى مكان الحفلة فاذا انتهت الحفلة اختفت الحمير ! وهكذا كنا نركب « ذهابا » ونمشى « ايابا » !

ولم تكن المسافات التى نقطعها مشيا على الاقدام مسافات بسيطة كانت عادة تتراوح بين كيلو مترين وخمسة كيلو مترات.

ولم يكن السير على الاقدام أصعب متاعبنا !

كان الانتظار على أرصفة المحطات هو تعبنا الاكبر ! فقد كنا فى كثير من الايام نقف على رصيف المحطة ١٢ ساعة كاملة !

كانت القطارات تمر أمام المحطة مرتين مرة فى الساعة السادسة صباحا ومرة فى السادسة مساء !

وكنا بعد انتهاء كل حفلة نعود الى المحطة وفى كثير من الايام كنا نصل الى الرصيف بعد قيام القطار بدقائق فقد كانت قطارات زمان مع الاسف تتحرك فى مواعيد محددة !! ولهذا كنا نضطر الى الانتظار ١٢ ساعة على الرصيف !

وكان الانتظار فى معظم الايام وسط البرد الشديد أو تحت الامطار الغزيرة التى كانت تحرص على استقبالنا فى كل محطة نلجأ اليها !

وفى أحد الايام عرف أبى سر مفتاح باب استراحة الركاب ! وكان المفتاح هو حنجرة أم كلثوم !

لقد أقنع والدى ناظر المحطة بأن يفتح لنا استراحة الركاب وكان الثمن هو أن أغنى للناظر !

وغنيت على أرصفة مئات من محطات الوجه البحرى

وبدأت أكتشف أن الدنيا أكبر من الوجه البحرى وأن هناك مدنا أخرى لا تقل أهمية عن المنصورة والزقازيق !

اكتشفت أن هناك مدينة جديدة اسمها القاهرة اكتشفتها بمحض الصدفة !

فقد حدث فى أثناء حديث عابر بين الثرى عز الدين يكن وناظر عزبته ، أن قال صاحب العزبة أنه سيقيم فى قصره بحلوان كعادته كل عام احتفالا بليلة المعراج فقال ناظر العزبة

ـ والله عندنا بنت صوتها حلو !

فقال صاحب العزبة هاتها تغنى لنا !

وسافرنا مع ناظر العزبة لاول مرة الى القاهرة ! ولا أذكر شيئا عن المدينة الكبيرة . ان صورتها الصاخبة لم تعش فى ذاكرتى !

كل ما أذكره هو محطة باب اللوق ! ففى هذه المحطة اشترى لى والدى « كراملة » أعجبتنى وجعلتنى أتصور أن القاهرة بلد « الكراملة » الحلوة

وذهبنا الى قصر عز الدين بك يكن وخرج صاحب القصر لاستقبالنا ونظر لى من تحت الى فوق عدة مرات ثم سأل فى دهشة « هى دى اللى ح تقرأ فى المولد » ؟

ولما هز ناظر العزبة رأسه موافقا صاح عز الدين بك ايه لعب العيال ده ! بلاش كلام فارغ ! انزل مصر حالا ! ورروحوا هاتوا الشيخ اسماعيل سكر ! يحيى لنا الحفلة !

ووضعونا مع الخدم فى البدروم ولم أدهش منهذه المعاملة ، ولم أشعر بأى اهانة لحقتنا ! وجلسنا الساعات فى البدروم والشيخ اسماعيل سكر يغنى للمدعوين ! وبعد أن أطرب الشيخ سكر المدعوين واطمأن صاحب الحفلة على نجاح حفلته قال الثرى عز الدين يكن للخادم « هاتوا البنت تغنى ونشوف حتقول ايه ! »

وخرجنا من البدروم الى الدور الاول

وصعدت الى كنبة وبدأت أغنى !

واستعادنى الحاضرون عدة مرات ! واستعادنى معهم المطرب الكبير الشيخ اسماعيل سكر نفسه !

ثم جاءنى أحد الخدم وقال لى الست عاوزة تشوف البنت فى الحرملك !

وصعدت الى الحرملك أنا وأخى خالد وأدخلونا صالونا كبيرا مليئا بالاثاث الفاخر

وسمعنا صوتا يقول لنا اتفضلوا !

ولتفتنا نبحث عن مصدر الصوت فلم نر أحدا فى الصالون !

وعاد الصوت يقول لنا اتفضلوا اتفضلوا !

وعدنا نبحث عن صاحب هذا الصوت فى أرجاء الصالون !

وعاد الصوت يقول اتفضلوا اتفضلوا اتفضلوا !

وهنا رأينا صاحب الصوت انه طائر فى قفص !

وأصبت بالفزع وصرخت غراب يتكلم ! غراب يتكلم

وعدت مع أخى من الصالون فى فزع ! واصطدمت عند الباب بحرم عز الدين بك يكن وأنا أرتجف من شدة الخوف !

وراحت تهدىء من روعى وتسألنى عن سبب فزعى فرحت أصرخ غراب غراب بيتكلم !

وضحكت صاحبة البيت وقالت لى انه ليس غرابا انه ببغاء والببغاوات تتكلم !

وعدت الى قريتى أحدث أصدقائى وصديقاتى عن القاهرة بلد العجائب ·· انها البلد التى تتكلم فيها الغربان !

اول تمثال لام كلثوم
صممه الفنان مختـــار
سنة ١٩٢٦

من مذكرات أم كلثوم

قرار من أبي: لن نعود إلى القاهرة!

« عنـــدما نتعلم نعـــرف مكاننا بين العلماء ٠٠ وقد عرفت مكاني » !

أم كلثوم

كنت أغنى بلا احساس ولا شعور !
كنت أردد الاغانى التى أسمعها من أبى بنفس الطريقة التى يردد بها التلميذ الصغير جدول الضرب ، وقواعد النحو والصرف !

ثم غيرنى فونوغراف

كان فونوغراف العمدة فقد سمعت على هذا الفونوغراف صوت الشيخ أبو العلا ، وهزنى صوته ٠ كنت أشعر وأنا أسمعه انه يغنى لى وحدى ٠ وسمعت صوته مئات المرات وهو يغنى : « أفديه ان حفظ الهوى أو ضيعا ! » وسمعته وهو يغنى « وحقك أنت المنى والطلب » ٠٠ وقصيدة « غيرى على السلوان قادر »

كان الفونوغراف يسكت ٠٠ ولكن صوت الشيخ أبو العلا كان يستمر يغنى فى أذنى !

كان أطفال القرية يرددون أغنية « أنا نازلة أدلع املا القلل ٠ أما أنافكنت أعيش مع أغانى الشيخ أبو العلا ، وكنت أتصور أنه قد مات ! لم يخطر على بالى أن صاحب هذا الصوت يعيش فى الدنيا التى أعيش فيها !

ومرت السنون ٠٠

وفى يوم من الايام كنت فى محطة السنبلاوين ، فسمعت صوتا يقول : الشيخ أبو العلا هنا !

ولم أصدق أذنى !

ورأيت أبى يسرع نحو الرجل الكبير ويصافحه فى احترام ٠٠ وأسرعت وراءه وامسكت يده ، ورحت أحدثه على الفور عن اعجابى وتحول الشيخ أبو العلا عنى ليستأنف حديثه مع الآخرين ٠٠ ولكنى

مصر فون
MisrFone

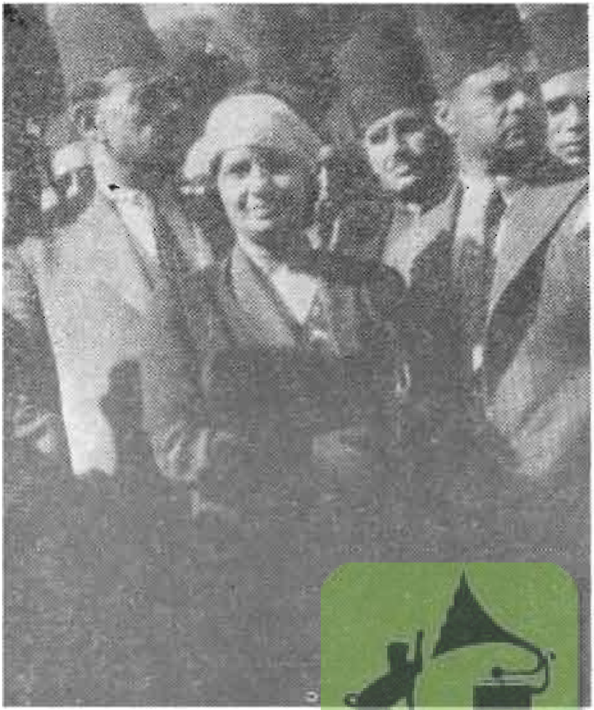

بين عدد من المعجبين بفنها ، وقفت ام كلثوم فى السنوات المبكرة لحياتها الفنية ..

مصر فون
MisrFone

منعته من أن يكلم احدا غيرى ! أمسكت بيده ورحت ألح عليه أن ياتى معى لزيارتنا فى القرية واحس الرجل الكبير بتعلقى به وجاء معى الى بلدنا الى قرية « طماى » !

ودخلت الى أمى قلت لها ان أهم انسان فى الدنيا سيتناول معنا الغداء . كل حاجة عندك قدميها له ادبحى كل الفراخ اللى عندنا واللى عند الجيران !

كنت لا اصدق عينى ! كنت اتصور اننى أرى « مناما » ولا أعيش فى الحقيقة !

ولما جلست امامه طلبت منه ان يغنى ! فطلب منى أن اغنى له أولا ! ورفضت ! فقد شعرت اننى لن اجسر على الغناء امام هذا العملاق واحسست انه ليس من المعقول أن اخدش اذنى هـذا المغنى العظيم بصوتى

ام كلثوم سنة ١٩٢٦
.. صورةاخرى لامثيل
لها عند ام كلثوم ..

ولكن ترددى ذاب أمام قوة شخصيته وبدات اغنى له وبدأ هو يغنى لى !

وشعرت أن فى بيتنا اجمل احلامى واحسست بضربات قلبى وانا اسمع صوته ! كنت اسمع قيثارة أجمل من الفونوغراف . فقد كان الشيخ ابو العلا أعظم مغن سمعته فى حياتى . ولا يزال

هذا رايى حتى اليوم انه أحسن من غنى واحسن من لحن المعانى قبل الالفاظ

وكان الرجل الكبير كريما معى فقد استمر يغنى استمر يغنى لى وحدى عدة ساعات ..

واقترح الشيخ أبو العلا على والدى ان يترك قرية « طماى » الصغيرة وينتقل الى القاهرة فدهش ابى من هذا الاقتراح !

ام كلثوم تعزف عـلى العود .. التقطت هذه الصوره لهـــا سنة ١٩٢٦ ايضا

وقال والدى ! ان طماى بلدنا وعارفانا وعارفينها ولا يمكن أن نترك طماى !

ورد الشيخ أبو العلا ان مستقبل ابنتك أكبر من « طماى »٠٠ وحرام أن تحبس هذه الموهبة فى قرية صغيرة !

ولاول مرة فى حياتى بدأت اناقش والدى !

وغير أبى موضوع الحديث !

ولكنى رحت « ازن » والح وارجو وعاد أبى يغير موضوع الحديث !

ولكنى لم أتعب من « الزن » والالحاح ! الى أن وقع لى حادث مسح فكرة الاقامة فى القاهرة من كل أحلامى !

فقد اتفق أحد أهالى القاهرة مع أبى على أن أغنى فى فرح ابنه فى كوم الشيخ سلامة المجاور لحى العتبة الخضراء بالقاهرة

وعند سفرى الى القاهرة أخذت معى « تحويشة العمر »

انها الخمسة عشر جنيها التى ادخرتها من مصروفى «وعيديتى» فى الاعياد

ونزلنا فى بيت صغير انه بيت صاحب الفرح

وقبل خروجنا من البيت لاحياء الحفلة ، وضعت ثروتى الضخمة فى جيبى

ولما انتهت الحفلة وعدت الى البيت ، أسرعت الى تحويشة العمر لاخرجها من جيبى .. فلم أجدها ! اختفت تحويشة العمر التى تصورت أننى سأشترى بها مدينة القاهرة كلها !

ولم أصدق عينى ! رحت أبحث فى جيبى وجيب أخى وتحت الكرسى فلم أجد لها أثرا ! ولم أذرف الدموع كانت نكبتى أقوى من الدموع !

وأخفيت الحادث عن أبى فى أول الامر ثم اضطررت أن أعترف . ولن أقول الآن ما قاله أبى لى وقتها

وعاهدت نفسى الا أزور القاهرة بعد ذلك

ولكن نداء القاهرة كان أقوى من ضياع أموال قارون !

فقد عدنا للقاهرة مرة أخرى وأقمنا فى حجرة بلوكاندة جوردون هاوس ، التى تطل على شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن) ومن شرفة حجرتى بهذا الفندق رأيت السينما لاول مرة فى حياتى ! فقد كانت تطل على سينما « جوزى بالاس » رأيت رجالا ونساء يتحركون على الشاشة البيضاء . رأيت شابا يقبل فتاة رأيت دنيا غريبة لم أشهدها لا فى طماى ولا فى الزقازيق ولا حتى فى المنصورة !

ولم يخطر ببالى وأنا واقفة فى شرفة حجرتى بفندق جوردون هاوس أن أم كلثوم نفسها ستظهر فى يوم من الايام على هذه الشاشة البيضاء !

وكان فى حجرتنا بالفندق ثلاثة سراير لأبى ولأخى ولى

وكنت أتصور أن هذا الفندق المتواضع هو أكبر فنادق القاهرة فلم أكن يومها قد سمعت عن شبرد وسميراميس !

وكانت بحجرتنا الصغيرة شرفة تطل على شارع فؤاد وشرفة أخرى تطل على المدرسة الاعدادية وكان الشيخ أبو العلا يحضر الى زيارتنا وأجلس بجانبه أستمع الى كلامه وغنائه

كنت أسهر طوال الليل أسمع أحب الاصوات الى قلبى ! فقد كان غناؤه أحب الى من النوم !

وفى احدى الليالى ونحن جالسون فى الشرفة غنى لى الشيخ أبو العلا ثم التفت الى وقال أنا غنيت لك كثير ماتغنى لى بقى ..!

وغنيت له !

وسكت الشيخ طويلا ثم رأيت دمعة تسقط من عينه ثم قال لن أفترق عن هذا الصوت طول عمرى !

وفعلا لم نفترق منذ تلك اللحظة كان يصحبنى مع أبى وأخى فى كل حفلاتى وفى كل مكان اذهب اليه

وغيرنى الشيخ أبو العلا علمنى أن أفهم الكلام قبل أن أحفظه وأغنيه !

فقد كنت حتى هذه اللحظة مثل ببغاء الثرى عز الدين يكن أردد الكلام بلا فهم ولا اهتمام !

وبدأت الكلمات غير المفهومة تتعثر فى فمى وترفض الخروج من بين شفتى !

وفى احدى الليالى كنت أغنى مع أفراد الفرقة جل من طرز الياسمين فوق خدك بالجلنار واصطفى ذا الجمان الثمين معدنا من لماك العقار !

ووقفت كلمة « الجمان » فى فمى ورفضت الخروج من بين شفتى ! وتركت باقى أفراد الفرقة ينطقون الكلمة وحدهم !

وتصور أبى أننى نسيتها فلم يعر الامر اهتماما !

ولما تكرر وقوفى عند كلمة « الجمان » أحس والدى بأن المسألة ليست مسألة نسيان فسألنى لماذا لا أغنى هذه الكلمة ؟..

وأجبته موش عارفه أقولهــا ازاى موش عارفة أقولها وأنا باضحك والا أقولها وأنا مكشرة أنا موش فاهمة معناها ايه !

وكانت هذه هى المرة الاولى التى أواجه فيها والدى بما تعلمته من الشيخ أبو العلا وهو أنه يجب أن أفهم المعانى قبــل أن أغنى الكلمات !

وعن طريق الشيخ أبو العلا عرفت الشاعر أحمد رامى !

فقد التقى أحمد رامى بالشيخ أبو العلا ذات يوم وسأله فيه بنت بتغنى اسمها أم كلثوم ٠٠ ايه رأيك فيها ؟

فأجاب الشيخ أبو العلا دى بتقول لروحها « آه » !

وفى احدى حفلاتى بحديقة الازبكية اقترب منى شاب وقال لى أنا أحمد رامى !

ورأيت أمامى لاول مرة الشاعر الذى أغنى أشعاره !

وأردت أن أقول لهذا الشاعر أهلا فغنيت له قصــيدته « الصب تفضحه عيونه » وكانت مفاجأة له ٠٠!

وكان رامى يحب الغناء وكنت أعشق الشعر

وكانت هوايتى للشعر قد بدأت بكتاب وجدته مع أخى ! أخذته منه لأتفرج عليه كان الكتاب هو قصة « العبرات » لمصطفى لطفى المنفلوطى !

وأمسكت الكتاب لأتفرج عليه وأعيده الى أخى !

وفتحت الصفحة الاولى ولم أترك الكتاب الا بعد أن وصلت الى الصفحة الاخيرة ٠ وعشقت المنفلوطى قرأت له «النظرات» و «العبرات» وكل القصص التى كتبها !

★ ★ ★

وفى أحد الايام شعرت بجوع للقراءة أردت أن أقرأ رحت أقلب كتب القصص التى توجد فى بيتنا الصغير فوجدت أننى قرأتها كلها قرأتها عشرات المرات وبدأت أبحث عن كتاب جديد وفى تلك اللحظة بدأت هوايتى للشعر كنت أحفظ الشــعر ولا أفهمه كنت أتصوره كلمات موزونة يعدها الشعراء للغناء

وفى أحد الايام رحت أبحث فى حجرتنا الصغيرة عن كتاب أسلى به نفسى · وفتحت ديوان شعر ابن الفارض وقرأت البيت الاول فى القصيدة ففهمته ورحت أقرأ باقى القصيده فى لهفة

وبعد ديوان ابن الفارض قرأت ديوان ابن الرومى والبحترى ثم قرأت الاغانى الذى يتألف من ١١ جزءا واخترت منه قصائد جديرة بأن تغنى

ثم قرأت « الامالى والحماسة » وبدأت أشترى دواوين الشعراء بعد أن كنت أستعيرها من أبى وقرأت ديوان المتنبى والشريف الرضى ومهيار الديلمى

وأصبحت أعشق الشعر !

أصبحت أقرأ القصيدة بنفس اللهفة والمتعة والشغف التى تقرأ بها فتاة أول قصة غرامية !

وكان لأحمد رامى الفضل كل الفضل فى تذوقى للشعر وتفهم معانيه كان يقدم لى فى كل مرة يزورنى فيها ديوان شاعر

وتعلمت موازين الشعر ، لدرجة أننى بدأت أحس بالبيت المكسور والبيت الذى يقف على قدميه !

ولكنى لم أفكر فى يوم واحد أن أنظم بيتا واحدا من الشعر لعل السبب هو كثرة قراءتى ولأننى قرأت الشعر الجيد وتذوقته ··

ولولا قراءاتى لحاولت أن أنظم عددا من القصائد أعبر فيها عن مشاعرى ولكننا عندما نتعلم نعرف مكاننا بين العلماء وقد عرفت مكانى !

واستمرت صداقتى بأستاذى الشيخ أبو العلا سنين طويلة كنت أبحث عنه فى كل مكان لاستظل برعايته وأستاذيته وكنت أطالبه فى كل مرة نلتقى فيها بأن يغنى لى ! كان غناؤه هو غذاء روحى ·

وفجأة ثقل لسانه وأصبح يتعثر فى نطق الكلمات ومع ذلك كان يغنى لى ! وعندما يخونه صوته أثناء الغناء كان يقول لى

MSIFone

ـ انت عارفه أنا عاوز أقول ايه ؟!

وفى احدى الليالى فوجئت بوفاة الشيخ أبو العلا

وامتلأ رأسى بقصائد الشعراء بعد أن امتلأت روحى بأغانى الشيخ أبو العلا

ولم أستطع أن أبقى فى بيتى

ولم أحتمل أن أذهب الى بيته !

مشيت فىشوارع حى الزمالك شارعا شارعا ولم أذرف دمعة واحدة !

مشيت الى شارع فؤاد ثم الى شارع الملكة نازلى ثم عدت أمشى فى شوارع الزمالك مرة أخرى ! كنت أتصور أننى سأغسل شوارع القاهرة فى تلك الليلة بدموعى ولكن دموعى تحجرت فى عينى

وكان يمشى معى أخى خالد وعازف الكمان سامى الشوا كانا يحاولان اقناعى بالبكاء تحت أى سقف ولكننى كنت أرفض

وقضيت الليل هائمة على وجهى · أبكى بغير دموع أستاذى الذى علمنى كيف أعبر عن المعانى بالنغمات ·

MisrFone

* * *

وتعرفت بكبار الموسيقيين وبالاستاذين حسنى أنور وأمين المهدى وهو أبرع من عزف على العود ونشأت بيننا صداقة عائلية

وأثناء اصطيافى بالاسكندرية زارنى أمين مهدى ودعانى لزيارة بيته الذى يطل على ترعة المحمودية وفى هذا البيت التقيت بأول صديقة لى

كانت تلميذة فى « الميردى دييه » وكان اسمها روحية المهدى انها ابنة أمين المهدى ·

لقد أصبحنا صديقتين بعد ساعة من اللقاء أحسسنا تجاوبا عجيبا ، شعرت كل منا أنها تعرف الاخرى منذ سنوات وسنوات !

وبدأت صداقتنا تقوى على مر الايام

ولما انتهت شهور الاصطياف وعدنا الى القاهرة كنت أحرص على زيارة بيت أمين المهدى كل يوم أحد فقد كان يوم الاحد هو أجازة روحية من مدرستها

وكانت روحية تقيم فى بيت بباب الخلق يواجه دار الكتب وفى كل أسبوع كنت أقطع المسافة من شقتى بعمارة بهلر بالزمالك الى ميدان باب الخلق لألتقى بصديقتى التلميذة وافتح لها قلبى وتفتح لى قلبها وتحدثنى عن أحلامها وأحدثها عن أحلامى ٠

وكانت القاهرة بالنسبة لى هى الطريق من الزمالك الى باب الخلق فقد كنت لا أخرج من بيتى الا لأذهب الى روحية يوم الاحد أو لأذهب فى المساء الى حديقة الازبكية لأغنى أو عندما أذهب فى الليل الى الفرح الذى سأغنى فيه ٠

وفى خلال السنوات الاربع الاولى التى أمضيتها فى القاهرة كانت العاصمة بالنسبة لى هى شارع فؤاد « ٢٦ يوليو الآن » وميدان قصر النيل وميدان عابدين وميدان باب الخلق

فى خلال السنوات الاربع لم أدخل السينما مرة واحدة !

فى خلال السنوات الاربع لم أدخل محلا تجاريا مشهورا أو مطعما كبيرا

فى خلال السنوات الاربع لم أدخل الا مسرحا واحدا هو مسرح الماجستيك فقد كان والدى يحب روايات الكسار

وكانت معلوماتى عن القاهرة هى ماأقرؤه فى الصحف والمجلات، وأسمعه من الناس

ومع هذا الحصار الذى كنت أعيش فيه أحببت القاهرة وعشقتها كنت أحس أننى أعيش فى أجمل بلد فى الدنيا أحببت أهلها

وجدت فىهذه المدينة الحلوة ضمانا واهتماما وتشجيعا ٠ وجدت فيها مجدا لم يخطر لى على بال !

وفى يوم من الايام عاد والدى الى بيتنا وهو متجهم الوجه ودخل حجرته ونادى على والدتى فدخلت واقفلا الباب

وسمعت همسا لم أهتم به

ولكنى رأيت أمى تفتح الباب وتبدأ فى حزم الحقائب

وسألت أمى ماذا جرى

فسكتت ولم ترد استمرت تملأ الحقائب بالملابس

وسألت والدى فقال بحزم خلاص ! احنا راجعين بلدنا ! لن نبقى فى مصر بعد الآن ·· ولن نعود اليها !

ودهشت من هذا القرار العجيب

كيف نهجر القاهرة وقد التقيت فيها بمجد لم أحلم به كيف أهجر « أم الدنيا » بعد أن أحببتها وأحببت من فيها وبعد أن التقيت فيها بحظى

ورحت ألح على والدتى أن تبرر لى قرار والدى ! رحت أقول لها أريد أن أعرف لماذا سنهجر القاهرة

واشارت لى والدتى الى مجلة ملقاة على الارض

والتقطت المجلة انها مجلة « المسرح » التى يصدرها الناقد المسرحى عبد المجيد حلمى ورحت أقلب صفحات المجلة فى لهفة ·· فلم أجد ردا على سؤالى

وعدت أقرأها سطرا سطرا

ثم سقطت المجلة من يدى !

لقد نشرت المجلة خبرا عجيبا عنى ! كان خبرا كاذبا عن سمعتى ولكن المرحوم عبد المجيد حلمى كان يعجب فى ذلك الوقت بالسيدة منيرة المهدية وبدلا من أن يقدم لها باقة ورد رمى تحت أقدامها شرف المطربة الجديدة !

ولكن هل من العدالة أن يضحى أبى بمستقبلى بسبب خبر كاذب ؟

هل من العدالة أن تدفع الضحية ثمن سكينة الجزار ؟

ان والدى يعرف أن الخبر لا أساس له من الصحة فهل الطريقة للاحتجاج على الخبر أن نجمع ملابسنا ونهاجر الى قرية طماى ؟

ورحت أستنجد بأصدقاء أبى !

رحت أرجو كلا منهم أن يحضر لاقناع أبى بالعدول عن الهجرة من القاهرة

وجاء الاصدقاء الى بيتنا ليحاولوا اقناع أبى بالبقاء فى القاهرة

قالوا له ان ابنته أصبحت مشهورة وأن للشهرة ضرائب يجب أن يدفعها صاحبها ! وأولى هذه الضرائب أن يحتمل نشر الاكاذب التى تنشرها عنه بعض المجلات الصغيرة

ورفض أبى وساطة هذه الوفود أصر على الهجرة الى قريتنا طماى » ·

وعندها استسلمت للأمر الواقع وجلست فى حجرتى أكتب خطابات وداع لصديقاتى ومعارفى كنت أكتبها بدموعى

وبين الخطابات التى كتبتها خطاب عصرت فيه قلبى ! أرسلته الى صديقتى التلميذة فى مدرسة « الميردى دييه » · لقد كتبت هذا الخطاب بدموعى حدثتها عن قرار أبى · ورحت أودعها وأودع القاهرة الحبيبة وكأننى أودع الدنيا كلها !

وجاءت أسرة المهدى الى بيتنا فوجدوا الحقائب معدة !

وتكلمت سيدات الأسرة ورحن يناقشن والدى فى قراره فى بلاغة وحكمة ومنطق

ولم يقتنع أبى !

ثم ركزن سهامهن على عاطفة أبى وحبه لى قلن له ان قراره سيقضى على مستقبلى ! سيدفن المجد الذى كان ينتظرنى تحت تراب قرية طماى

ولم يقتنع أبى
وأخيرا تكلم أمين المهدى

قال لأبى ان معنى مغادرتكم القاهرة أن الخبر الذى نشرته مجلة المسرح » عن أم كلثوم هو خبر صحيح فالناس تهرب من الحقيقة ، ولا تهرب من الاكاذيب !

وقام أبى من مقعده وبدأ يفتح حقائبنا ويخرج منها الملابس وحتى ذلك اللحظة كنت أقيم فى القاهرة فترات متقطعة ثم أعود الى الريف

أما الآن من هذه السنة ـ ١٩٢٦ ـ فقد بدأت أقيم فى القاهرة بصفة أساسية ولكنها كانت اقامة صعبة جدا فى البداية !..

★ ★ ★

انتهى الجزء الاول من مذكرات أم كلثوم ..

والسؤال الآن : كيف كانت القاهرة سنة ١٩٢٦ ؟ القاهرة التى ستشهد من الآن فتاة قروية ترتدى عقالا وبالطو أزرق .. وتغنى المدائح النبوية ؟..

سؤال يجيب عليه الفصل التالى ، قبل أن نعود من جديد الى مذكرات أم كلثوم ..

مصرفون
MisrFone

القاهرة ٢٦

مصر فون MisrFone

فى القاهرة غناء للرجال وغناء للنساء . فى القاهرة موسيقى للفقراء وموسيقى للأغنياء؟

القاهرة : ١٩٢٦

البيضة فى مصر بمليم
رطل اللحم بقرشين · مشفى بثلاثة قروش

علبة السجاير ماركة « العنبرول » بقرشين

الأوتوموبيل الفاخر خمسة محلات بـ ٣٦٠ جنيها

الرواية المقررة على طلبة البكالوريا هى زهراب ورستم

على أفندى الكسار بربرى مصر الوحيد يمثل رواية البربرى فى الجيش ·

نابغة مصر فىالتمثيل يوسف وهبى يقوم ببطولة رواية الذبائح·

المستر سمسون رئيس النيابة المختلطة بالمنصورة يحضر حفل مدرسة المنصورة الاميرية ·

و ·· نحن فى سنة ١٩٢٦ ··

السكان فى القطر المصرى كله عددهم محدود · بالضبط ١٢ مليونا و ٢١٧ الف نسمة من بين كل مائة من السكان فى مصر هناك ٢٦ يموتون بعد سنة من مولدهم · المرض وسوء التغذية سبب ذلك ·

الذين يعرفون القراءة والكتابة فى مملكة مصر ـ مجرد القراءة والكتابة ـ عددهم ١٩٧ فردا فى كل ألف من السكان ·

الصحف فى مصر محدودة · الاخبار فيها محدودة أيضا منها تلك العناوين المنشورة فى مقدمة هذا الفصل

من الاخبار التى تبرزها مجلة « اللطائف المصورة » أيضا خبر يقول « ·· يشاع أن الحكومة المصرية تنوى فتح نفق من السيدة زينب الى محطة باب الحديد لمرور سكة حديد حلوان تحت الارض بعد أن تتحول قاطراتها من بخارية الى كهربائية » · ان

ام كلثوم فى راس البر
جلسة على البلاج مع كتاب عن الشعر العربى القديم

الزحام سبب فى هذا المشروع بطء القطارات سبب آخر ان السفر بالقطارات من القاهرة الى الاسكندرية يستغرق سبع ساعات لهذا يسمون القطار « المستعجلة » !

نفس المجلة تنشر على عرض صفحة كاملة منها صورة كتبت تحتها قائلة « هذه صورة أتحفنا بها المصور الشهير الخواجة زولا لحضرات أعضاء لجنة الاحتفال بتكريم فخامة المندوب السامى جورج لويد واللادى قرينته بصفته ممثلا لانجلترا صديقة مصر، الذى نحيى فيه رسول السلام بين الشعبين » !

هذه واحدة من مظاهر كثيرة لتفسخ المجتمع المصرى فى تلك الفترة فبعد ثورة عظيمة قام بها الشعب سنة ١٩١٩ بدأت مصر تحارب نفسها .. بينما يتفرج عليها محتل غاصب وحاكم مستبد.

ولقد أدى انتكاس الثورة الى تفشى ظواهر مرضية فى المجتمع المصرى

فالانتهازيون والوصوليون منتشرون فى الحياة العامة. لخصهم سيد درويش منذ سنوات عندما غنى فى أوبريت « العشرة الطيبة » علشان ما نعلى ونعلى ونعلى لازم نطاطى نطاطى نطاطى !

والصراع دائر علنا بين الاحتلال ومجموعة من المثقفين الشبان انتجتهم ثورة ١٩١٩ منهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد ومحمد حسين هيكل وفكرى اباظة .

والشكوى عامة من الانحلال الاخلاقى بسببها نشرت المجلات صورة لـ « نفر من أعضاء جمعية الشرف التى تأسست فى القاهرة لنشر الفضيلة ونصح الشبان بالابتعاد عن الرذيلة »

والرذيلة لها جمهور واسع يغذيها

من هذا الجمهور الجنود الانجليز الذين يمرحون فى شوارع مصر ويسهرون لياليها . اماكن السهر تنحصر بين ميدان الاوبرا فى القاهرة وبين شارع عماد الدين والفجالة . فى شارع عماد الدين تستطيع أن تشرب البيرة والويسكى . اذا أردت « العرقى » فاتجه الى الفجالة . « البوظة » فى شارع كلوت بك على امتداد هذه الشوارع تستطيع أن تقرأ هذه اللافتات « خمارة مانولى » ، «بار خريستو» ، مقهى « كوستى » بار «بنايوتى» خمارة « خرالمبو »

واذا سرت فى شارع محمد على تجد على يمينك وعلى يسارك دكاكين صغيرة علقت على جدرانها آلات الطرب من عـود ورق ودربكة فوق الدكاكين اعلانات بأسماء أصحابها من أهل الفن « الاسطى حميدة » مثلا عوادة « الاسطى زوبه » عالمة « نعيمة المصرية » أرتيست

داخل هذه الدكاكين توجد فئة من المتعهدين تسمى «المطيباتية» ان « المطيباتى » يتفق مع الزبائن ويقتســم الاجر وفى ليلة الفرح يرتدى الملابس المزركشة ويضع خاتما فى اصبعه · وطوال غناء «العالمة» فان المطيباتى مسئول عن استمرار آهات المعجبين من الجمهور فى كل مكان من السرادق

اذا وصلت الى شارع عماد الدين فسوف تجد كازينو دى بارى مسرح البرنتانيا مسرح الاجبسيانا الريتسانس الابى دى روز · الكوزمو ثم ·· مسرح رمسيس

هنا تجد نوعا آخر من أهل الفن والطرب والموسيقى

ان فى القاهرة موسيقى للفقراء وموسيقى للاغنياء

فى القاهرة غناء للرجال وغناء للنساء

فصاحب الفرح عندما يكون ثريا فانه يدعو نوعين من المطربين ·· مطرب له وللوجهاء وآخر للجمهور العادى ·

● ان مطرب الاغنياء يرتدى بدلة وهو صييت معروف باسمه الشيخ حامد مرسى ·· اسماعيل سكر عبد اللطيف البنا ·· الخ ومطرب الفقراء يرتدى الجلباب · انه صييت معروف بصفته من هؤلاء مثلا فرقة الخضرى ، والقهوجى وحسين المكوجى ، وشحات الحلوانى ·· الخ ·

● مطرب الاغنياء يحيى الليلة الرئيسية لليلة الزفاف

ومطرب الفقراء يحيى الليالى السابقة على الزفاف

● وعندما يغنى مطرب الاغنياء يستأجر الثرى ماكينة كهرباء· فالمدعوون كلهم وجهاء · أما عنــدما يغنى مطرب الفقراء فان صاحب الفرح يستأجر كلوبات غاز

● واذا اجتمع المطربان فى ليلة واحــدة فان مطرب الاغنياء يغنى فى الحفل · بينما الآخر يغنى فى الاستراحة !

● مطرب الاغنياء متفرغ للغناء. ومطرب الفقراء غير متفرغ. لا يستطيع .. ولذلك كان من الشائع أن يعمل باكثر من حرفة.. من بينها الغناء أو التلحين . فنجد فى شوارع القاهرة لافتة كتب عليها « بائع يانصيب وسجاير.. ومغنى » . لافتة أخرى «ملحن اناشيد ومقرىء مدائح نبوية ومشخص » . لافتة ثالثة «حانوتى ومقرىء ومشخصاتى » . رابعة « دار الجيلاتى والتشخيص والتلحين » !.

وعندما بدأت أم كلثوم تغنى فىالقاهرة فلقد كانت ماتزال تنتمى الى الدائرة الثانية : صالح عبد الحى يغنى فى ليلة الفرح ، وهى تغنى فى الليالى السابقة على الفرح . هى نفسها تأتى الى الفرح راكبة ، ثم تعود بعد الفرح سيرا على الاقدام .هىنفسها فقيرة ، تغنى المدائح النبوية . ترتدى العقال على رأسها وبالطو أزرق على جسمها . ملابس متواضعة . ومازال عليها أن تحارب لكى تدخل الدائرة الاخرى المغلقة : دائرة المطربين المشهورين أو نصف المشهورين . ان عليها أن تفعل ذلك مع الانخفاض الشديد فى الاحترام الذى يعطيه المجتمع لأهل الطرب .

ان كلوت بك مثلا قدم صورة حية لذلك عندما سبق أن سجل فى كتابه« وصف مصر » يقول : « .. والمغنون المصريون الذين صناعتهم الغناء يسمون بالآلاتية مفرد آلاتى . وتتالف منهم فى مصر طبقة محتقرة فاسدة الاخلاق . اذا جىء بهم الى منازل الخاصة تقاضوا أجرا لا يتجاوز ما يعادل ثلاثة فرنكات الى أربعة فى الليلة الواحدة. والمدعون لسماعهم يغدقون عليهم عادة من محض كرمهم شيئا منالمال يضافالى تلك الاجرة الزهيدة.وتقدم اليهم أثناء الغناء المشروبات الخمرية كالعرقى وغيره . وهم يفرطون فى شربها. ويحدث أحيانا وقد لعبت الخمر بعقولهم أن يفقدوا رشدهم ويسقطوا علىالارض. وفى مصر مغنيات يسمين بالعوالم ، وهى كلمة أطلقها الاوربيون على جميع الراقصات من غير تمييز ولا استثناء » .

ان كلوت بك يصف الغناء والموسيقى فى مصر خلال القرن التاسع عشر. ومع ذلك فحتى هذه السنة ١٩٢٦ ـ كانت النظرة الى الفن عموما لم تتغير بعد كثيرا .

فعندما بدأ توفيق الحكيم يكتب للمسرح فى القاهرة خلال العشرينات وصفه أحد أصدقائه قائلا انه « .. منخرط فى زمرة أهل الفن والعياذ بالله » !. من مذكرات توفيق الحكيم .

وعندما عبر المرحوم زكريا أحمد لأبيه عن رغبته فى العمل بالغناء والتلحين قال له والده الشيخ أحمد صقر مرزبان « بقى يابنى تبقى من عيلة مرزبان٠٠ وتطلع من بتوع ياليل ياعين ؟!» ٠٠ مذكرات زكريا أحمد ٠

وهذه النظرة لم تقتصر على الشخص العادى ٠٠ بل هى ممتدة الى الحكومة أيضا ٠ ان تطوير ورعاية الفن ـ هذا رأى الحكومة ـ هو من اختصاص وزارة الاشغال ! انه كرصف الطرق وبناء الجسور والترع !

وعندما نشرت الصحف فى سنة ١٩٢٦ خبر ايفاد أول بعثة فنية مصرية قالت « أوفدت الحكومة المصرية فى العام أول بعثة لدراسة التمثيل مكونة من فرد واحد هو زكى أفندى طليمات الموظف بوزارة الاشغال » ٠

ووزارة الاشغال هى التى أشرفت على اقامة أول مسابقة فنية سنة ١٩٢٦ ٠ وكانت الجوائز الاولى فيها من نصيب : زكى رستم فى التمثيل التراجيدى ٠ بشارة أفندى يراكيم فى التمثيل الكوميدى ٠٠ السيدة فيكتوريا موسى فى التمثيل الكوميدى السيدات ٠ و ٠٠ السيدة منيرة المهدية فى الغناء المسرحى ٠

ان منيرة المهدية هى سيدة الغناء فى مصر منذ سنوات طويلة مضت ٠٠ الى جانبها توجد السيدة نعيمة المصرية ٠ السيدة توحيدة ٠ السيدة فتحية أحمد ٠ الآنسة أم كلثوم !

والى جانب هؤلاء توجد من الممثلات : فيكتوريا كوهين وشقيقتها هزبيت كوهين ، مارى منصور ، دوللى أنطون ، رتيبة رشدى وشقيقتها فاطمة رشدى ، دولت أبيض ، أمينة رزق ، وأبريز ستاتى ٠

ان انتشار الاسماء الاجنبية فى الوسط الفنى سببه أن الفتاة فى مصر لم تكن قد دخلت بعد باب التمثيل على نطاق واسع ٠ بل ان فرقة دار التمثيل العربى ، عندما قدمت للجمهور رواية « بنت السبندر » سنة ١٩٢٦ ـ فانها أسندت دور المرأة فيها الى الممثل حسن فائق ٠ ونشرت له مجلة « المسرح » صورة (براقة) بضفائر الشعر الطويلة والروج الفاقع ٠

والصحف نفسها كانت تنشر بين وقت وآخر صور الممثلات اللامعات ٠٠ فى أزياء الرجال ! مرة تنشر صورا لزينب صدقى

وفاطمة رشدى بالطربوش والبدلة ومرة تنشر صورا لفاطمة اليوسف وبديعة مصابنى وعزيزة أمير وأمينة محمد وفتحية أحمد فى ملابس (الافندية والخواجات) !٠

و نحن فى سنة ١٩٢٦

ان المظهر الرئيسى للاهتمام بالفن هو الصحف ان الصحف والمجلات خصصت عددا من اكبر كتابها لنقد الحركة المسرحية والغنائية والموسيقية٠ محمد التابعى يكتب عن المسرح فى (الاهرام) ٠٠ التوقيع « حندس » ابراهيم المصرى يكتب فى مجلة « التمثيل » زكى طليمات فى « المقطم » ٠ عبد المجيد حلمى فى « المسرح » ٠ سعيد عبده فى روزاليوسف ٠٠ الخ ٠

ولكن النقد لم يكن أمرا سهلا٠ ان أحد النقاد كتب كلمة خفيفة عن تمثيل السيدة مارى منصور٠٠ولكن «٠٠ السيدة لم تر رأيه»، فأرسلت وراءه نفرا من أصحابها ليلقوا عليه درسا فى فن الكتابة ٠٠ وليبرهنوا له على أن العصا أقوى حجة من « القلم » !

صحفى آخر « هددته ممثلة فى مسرح كبير بالشبشب فى الطريق العام والقت عليه محاضرة طويلة عن أصله وأصل آبائه وأجداده » !

ناقد ثالث كتب مقالا عن رواية « قمر الزمان » انتقد فيه بشدة السيدة منيرة المهدية ثم « ٠٠ اضطر بعدها الى أن يحمل شومة فى يده أينما سار ليدافع بها عن نفسه ـ رأيه ـ ضد فتوات عماد الدين الذين أرسلتهم وراءه السيدة ليتفاهموا معه » ٠

ان السيدة منيرة تمثل وتغنى

والاتجاه فى الغناء كان متذبذبا فبعد نهضة قصيرة فى المسرح الغنائى مثلها سيد درويش بدأ الغناء يبتعد عن التواشيح ولكنه يقترب من الخلاعة ان أحد الشعراء قدم مرة قصيدة شعرية طويلة الى كامل الخلعى لكى يلحنها فصاح فيه الخلعى قائلا

كيف يمكن تلحين ذلك ؟ هذا شريط ترمواى وليست قصيدة !
أما الاغانى المنتشرة فكانت تختلف

مثلا الاغنية المشهورة التى ألفها يونس القاضى وغناها عبد اللطيف البنا تقول ارخى الستارة اللى فريحنا ٠٠ أحسن جيرانك تجرحنا !

هذه الاغنية تستطيع سماعها فى مقاهى القاهرة مثل : اللاوندية واسماء الكمسارية • أو ـ بالاسكندرية ـ فى مقهى شيبان أو مقهى الياس •

أغنية أخرى تقــول : مين فيكو بابا مين فيكو ماما •• مش عارفة نينة من غير علامة !

أغنية ثالثة فى مقهى الالدرادو تقول : اوعى تكلمنى بابا جاى ورايا ••

تغنيها عزيزة المصرية •

أغنية رابعة يطلبها « السميعة » تقول :

ماتخافش عليــه أنا واحــدة ســجوريا

فى العشق يا انت واخــــدة البــكالوريا

واذا سرت خطوات أخرى فى شارع عماد الدين فسوف تسمع أغنية الموسم :

ايه اللى جرى •• فى المندرة

شيء ما افهموش

أنا كنت لسه صغيرة !

وكان الجمهور يعـــبر عن اعجابه بالطرابيش • ان قــذف الطربوش هو أقوى وسائل التعبير عن الاعجاب عند جمهور ١٩٢٦ •

والطرابيش تملأ جميع مسارح القاهرة •

الطرابيش تملأ مسرح « الرينسانس » بشـــارع فؤاد (أقيمت مكانه فيما بعد سينما ريفولى) •

وتملأ « تياترو ماجستيك » بشارع عماد الدين ، حيث تعرض رواية « الطمبورة » •

وتملأ أيضا مسرح رمسيس، الذى يعرض رواية «حانة مكسيم» وتياترو حديقة الازبكية حيث تعمل فرقة عكاشة •

ودار الطرب الجديدة ـ صالة بديعة مصابنى ـ بشارع عماد الدين • اعلانات الصالة تقول ان السيدة بديعــة قد « خصصت مقاعد للسيدات بعيدا عن الرجال •• حفظا لكرامتهن » !

وتياترو برنتانيا، حيث يقدم جوق السيدة منيرة المهدية الرواية الجديدة «البريكول» وتلحين كامل أفندى الخلعى • خارج التياترو تقول الاعلانات « تقــوم بالدور المهم فى الرواية السيدة منيرة

ام كلثوم مع العود.. صورة تحتفظ بهـــا امكلثوم لنفسها

المهدية سلطانةالطرب وكروانة مصر الوحيدة وبلبل وادى النيل»! اعلانات اخرى تقول « الليلة تغنى السيدة منيرة المهدية · دكتوراه ممتازة فى الغناء والطرب بين العالم الشرقى جميعه » !

فى داخل المسرح تسمع منيرة المهدية و هى تغنى عندما تغنى يقف خلفها«المذهبجية» او « السنيدة » الذين لا ينطقون ولا يتحركون الا بقدر وفى الوقت الذى تريده « الصبيتة » !

ومنيرة المهدية بدأت العمل فى صـالة الالدرادو حيث كان الذهب يتدفق من العمد والاعيان وقد اصبحت بعـد قليل تلقب بـ « سلطانة الطرب » حتى لقد كان يجتمـع فى بيتها مجلس الوزراء واذا غضب منها احـــد رؤساء الوزارات ·· كانت تصالحه باغنية «تعالى ياشاطر نروح القناطر» · ويصطلح رئيس الوزراء ويذهب الى القناطر !

ان هذا المستوى من الاغانى كان قد اضطر سيد درويش ـ قبل سنوات من وفاته ـ الى أن يجاريه عندما لحن وغنى الاستيك فوق صدرك يضوى و يا انا يا انت يا واد يا مأطاط !

وهذا المستوى من الخلاعة هو الذى اضطر سيد درويش أيضا أن يلحن منذ سنوات روايات كشكش بكالتى كان نجيبالريحانى يقوم ببطولتها

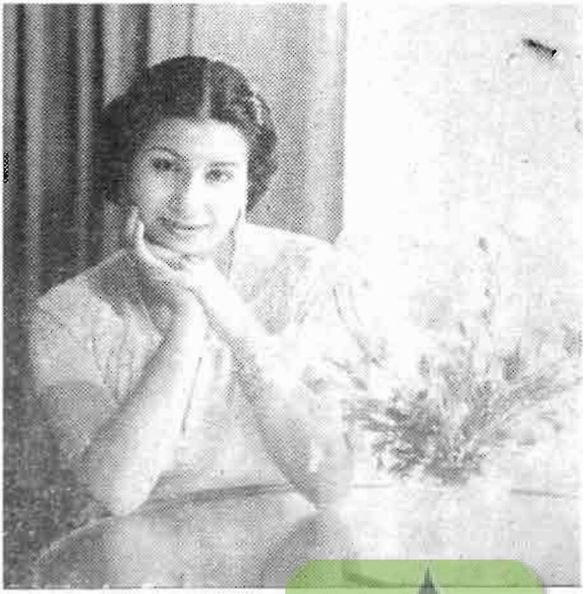

ام كلثوم مع باقة زهر
.. فى شرفة منزلها.

هنا بالضبط يقول توفيق الحكيم فى كتابه « سجن العمر » كان الاقبال على كشكش بك يعادل الاقبال على الكباريهات ولم يكن سر رواجه فى الحقيقة الا تلك الراقصات الجميلات الشقراوات الاجنبيات الوافدات علينا من الخارج عقب الحرب الاولى مثل « دينالسكا » ومثيلاتها ممن قذف بهن الجوع من بلاد منهزمة كالنمسا والمانيا .. فجئن الى مصر المفتوحة يومئذ لكل من هب ودب فملأن المسارح والحانات وقاعات الليل وكان الشباب من الوارثين يقبلون على تلك المحال جميعا لمصاحبة الفتيات آخر الليل • وكان الواحد منهم يحضر الرواية الواحدة للريحانى كل ليلة ، لا حبا فى الرواية نفسها ـ التى سبق أن شاهدها مرات ـ ولكن من أجل سيقان الفتيات

حسنا

هذه هى السنة التى قررت فيها أم كلثوم أن تستقر بالقاهرة• وهذا هو نوع من الجمهور الذى تشهده مسارح ومقاهى القاهرة سنة ١٩٢٦ •

هل تختار أم كلثوم هذا النوع جمهورا لها ؟ هل تغنى له ما تخافش عليا أنا واحدة سجوريا ؟

هل تفعل أم كلثوم كذلك ؟

نعود الى مذكرات أم كلثوم

مصرفون
MisrFone

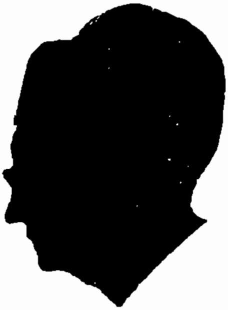

من مذكرات أم كلثوم

صفعني أبي ليرضى الجمهور !

مصر فون
MisrFone

« ليس مهما أن أكون مطربة من الدرجة الثالثة ، المهم الا أبقى فى الدرجة الثالثة »!..

أم كلثوم

كانت القاهرة عندما بدأنا نستقر فيها سنة١٩٢٦ كالمريخ فى كل شىء فيها نكتشفه لاول مرة٠ كل شىء فيها مختلف عما رأيناه من قبل ٠ البيوت مختلفة الشوارع مختلفة السهرات مختلفة الناس مختلفون والجمهور مختلف

فى الريف كان صاحب الفرح يأتى الينا مباشرة ــ الى أبى ــ للاتفاق على الغناء

ولكن فى القاهرة لابد من وجود متعهد الحفلات

ان المتعهد هو الذى يتفق مع الجمهور من ناحية ثم هوالذى يتفق مع المطرب أو المطربة من ناحية أخرى ويعد له مكان الغناء ، ويتولى الدعاية له بين الجمهور ٠

وفى البداية عانينا كثيرا من التعامل مع متعهدى الحفلات كان أبى طيب القلب خالص النية فى تعامله وكان العمل فى القاهرة يتطلب صفات مختلفة ويظهر أن منظر أبى كرجل ريفى ومنظرى كفتاة صغيرة بالعقال والبالطو يظهر أن هذا كان يغرى متعهدى الحفلات أحيانا بالضحك علينا

فى البداية مثلا كان صديق أحمد متعهد الحفلات يحضر فى الصباح للاتفاق مع أبى على أجر الغناء٠ الاتفاق يقضى بأن يدفع لى سبعة جنيهات ٠

وعندما نذهب الى صالة الغناء فى المساء فان صديق أحمد كان يدخلنا الى المسرح لنجلس خلف الستارة نستعد ٠ ويبدأ صديق أحمد فى الشكوى لأبى قائلا يا خسارة ! مفيش جمهور ! شوف الصالة فاضية ازاى ؟!

وعندما يتطلع أبى الى الصالة من خلف الستار يجد أن الصالة خالية من الجمهور فعلا لأن صديق أحمد تعمد أن يحضرنا قبل موعد الجمهور بساعة أو بساعتين !

والحل ؟!

كان الحل ينتهى دائما بنجاح المتعهد فى تخفيض الاجر المتفق عليه من قبل فى‌الصباح • فبدلا من سبعة جنيهات يصبح الاجر خمسة أو أربعة جنيهات !

ويوافق أبى بحسن نية بينما المتعهد يتمتم بصوت مسموع ربنا يسهل بقى وما أخسرشى أكثر من كده !!

وعندما نبدأ فى الغناء بعد ساعة أو ساعتين عندما يفتح الستار•• نفاجأ بأن الصالة قد أصبحت مزدحمة بالجمهور الذى لا يجد مكانا !

ونبحث عن المتعهد فنجده فص ملح وداب !!

★ ★ ★

على أن هذه المشكلة بدأت تختفى عندما بدأ أبى شيئا فشيئا يكتسب الخبرة فى التعامل مع متعهدى الحفلات بحيث لاننخدع منهم بهذه السهولة

بدأت المشاكل مع المتعهدين تختفى، لتحل محلها مشاكل أخرى مع الجمهور نفسه !

كان الجمهور فى البداية يأتى لكى يسمع غناء انه يأتى أولا لكى يسلى نفسه • يسهر وينبسط ويفرفش ويسكر !

واذا سمع مطربا فالغنـــاء لابد أن يتمشى مع مقتضيات السهرة يعنى لزوم الفرفشة !

لهذا السبب فان موجة الطقاطيق الخفيفة ـ الخليعة غالبا ـ هى التى كانت رائجة فى تلك الايام !

لم يكن هذا لوننا كنت ما أزال أغنى المـدائح النبوية والقصائد وأصمم على التمسك بهما •

ولكن هذا التصميم خلق لى مشاكل كثيرة فى القاهرة

اذكر أننى كنت فى احدى الليالى ـ ســنة ١٩٢٦ أغنى فى كازينو البوسفور

ان كازينو البوسفور كان يقع فى ميدان المحطة ـ ميدان باب الحديد حاليا ـ بالقاهرة وكان رسم الدخول للسهر فى‌الكازينو خمسة قروش ••

فى تلك الليلة بدأت أغنى ـ كالعادة ـ فى الساعة العاشرة مساء

ولم تكن هناك الات تصاحبنى فى الغناء ، كان افراد التخت هم اربعة ، منهم ابى واخى خالد ، وكنت ماأزال أرتدى العقال والبالطو الازرق وأغنى المدائح النبوية والقصائد

وبدأت فى تلك الليلة أغنى سبحان من ارسله رحمة لكل من يسمع أو يبصر

وبعد قليل بدأ افرادالجمهور يطلبون منى أن أتوقف عن الغناء وأن أغنى لهم الاغانى السائدة فى تلك الفترة أغانى خليعة

ان الاغانى المنتشرة فى تلك الفترة كانت فى منتهى الخلاعة الى درجة أن أغنية « بعد العشا يحلى الهزار والفرفشة » مثلا تعتبر أغنية غير خليعـــة بمقاييس تلك الايام ! وكان من المألوف أن يقوم أكثر من مطرب أو مطربة بغناء نفس الاغنية

المهم طلب منى هؤلاء الافراد من الجمهور أن أغنى شيئا آخر بدلا من قصيدة سبحان من ارسله رحمة

ورفضت

استمررت فى الغناء سبحان من

فى هذه اللحظة بدأت تعلو أصوات نفس الافراد من الجمهور لكى ترغمنى على الا أستمر ..

بعد قليل بدأوا يصفرون لمقاطعة غنائى

ومرة أخرى استمررت فى الغناء

ولكن المسألة لم تقف عند هذا الحـــد لقد وقف أفراد منهم وهجموا على المسرح يريدون اغلاق الستار فى هـــذه اللحظة فقط بدأت أفقد أعصابى ..

كانت المسألة هى أن القادم الى الكازينو فى هذا المساء يعلم مقدما من التى ستغنى ، فالاعلان المعلق فى الخارج يحمل اسمى

وهو يعلم أيضا لون الغناء الذى سيسمعه فهو اللون الذى كنت أقدمه ..

أنور وجدى .. الذى اشترك مع ام كلثوم فى بطولة فيلم (فاطمة) فى احدى الحفلات التى أقامتها نقابة السينمائيين لتكريمهما

مصر فون MisrFone

ويعلم أن الاغانى الخليعة التى يريدها لها أماكن أخرى تغنى فيها ..

فما معنى هذا الصفير ..؟!

المهم انني لحظتها ثرت عندما هجموا على المسرح يحاولون اغلاق الستار ..

فى الواقع اننى شتمت هؤلاء الافراد من الجمهور

ولم انتبه الا وابى يصفعنى بيده !..

كانت أول مرة أتلقى فيها مثل هذه الصفعة من أبى، أول مرة يصفعنى فيها أمام الجمهور..

وبكيت !..

بكيت لأننى على حق وأبى يعلم ذلك

ولكن ابى كان على حق أيضا.. لقد كان أوسع منى ادراكا.

ان أبى ضربنى أمام هؤلاء الافراد الثائرين من الجمهور لكى يرضيهم ! لكى يهدىء من ثورتهم ! لقد رأى الشر فى أعينهم وهم يهجمون على المسرح متجهين نحوى

وخشى أبى أن يحـــدث لى مكروه خشى أن يؤذينى هؤلاء الافراد السكارى ، فتطوع بمعاقبتى عنهم كمـــا انه أراد أن يلقننى درسا فى الادب ! فمهما كانت الظروف لا يجوز لى أن أشتم واحــدا من الجمهــور لا يجوز لن أن أتفوه بلفظ ناب واحد ٠٠ حتى ولو كان معى الحق فى ذلك ٠٠

و
انسحبت من المسرح فى تلك الليلة أجر دموعى !٠٠

★ ★ ★

والواقع أن هذا النوع من الجمهــور لم يكن يقتصر وجوده على القاهرة كان هذا النوع موجــودا فى كل مكان معنى ذلك أن مقــاومة تيار الأغانى الخليعــة ليس ســـهلا ولا حتى ممكنا دائما وربما كان جزءا كبيرا من المجهــود الذى بذلتــه فى البداية موجها لمقاومة اغراء الهبوط الى المستوى السائد من الاغانى الخليعة

وفىالبداية لم يكن يمر شهر ـ ولا حتى أسبوع ـ الا تواجهنى مشكلة بسبب عدم غنائى لهذا النوع من الاغانى

بل ان تصميمى هذا كاد يكلفنى حياتى فى احدى المرات !

كنت أغنى فى احدى القرى ٠٠

وبالتحديد كانت قرية تقع بجوار بلدة ميت العامل فى مركز أجا بمحافظة الدقهلية

مكان الغناء هو دوار العمدة دوار واسع الجمهور يملأ الدوار من هذا الجمهور وجوه أعرفها من قبــل فلقد كانت المرات العديدة التى غنيت فيهــا من قبل قد بدأت تشجع هـــذا اللون من الغناء الذى كنت أقدمه ولكن الى جانب جمهورنا هذا كان يوجد النوع الآخر من الجمهور النوع المألوف الذى جاء يشرب الخمر ويستمع الى أغانى « بعد العشا يحلى الهزار والفرفشة » ! كان هذا الجمهور يمثل أقلية بسيطة جدا فى الريف ٠٠ ولكنه كان موجودا على أى حال

فى تلك الليلة بدأت أغنى قصيدة سبحان من أرسله رحمة لكل من يسمع أو يبصر »

دقيقة وأخرى وأخرى

ثم وقف واحــد من الجمهور يصيح ايه الغم ده عايزين نفرفش !٠٠

واستمررت فى الغناء !··

ولكن نفس الشخص عاد ليقف من جديد : عايزين نفرفش عايزين شوية مياعة ·· شوية مواويل ·· غنى لنا ياليل ياعين !

ولم التفت اليه مازلت مستمرة فى الغناء

ولكنه استمر فى مقاطعته لى

وعندما حاول عدد آخر منالجمهور أن يسكتوه تكهرب الموقف !

لقد وقف الرجل المخمور وسط الدوار واخرج من جيبه مسدسا ولوح به فى الهواء مهددا !··

قال الرجل مهددا الجمهور بالمسدس ! اللى مش عاجبه يطبع بره !··

وفى لحظات كان الصمت يخيم على المكان كله صمت له رنين !

ونظرت الى الدوار الواسع فوجدته قد أصبح خاويا لا أحد على الكراسى ! الجمهور الذى كان يتزاحم منذ لحظة ذاب !

ويبدو أن هذا الرجل كان صاحب سطوة فى القرية دون أن ندرى لقد اكتشفنا فيما بعد أنه ابن العمدة ! واحد من أصحاب النفوذ فى أى قرية !··

المهم ـ صمم ابن العمدة بمسدسه على أن أغنى له ما يريد وصممت على ألا أغنى سوى ما أريد ··

وتوزعت نظرات أبى بين وجه ابن العمدة وبين مسدسه وبينى !

قال له أبى معلهش ياابنى هدى نفسك !··

ورد ابن العمدة لازم تغنى ياليل ياعين لازم تعمل لنا شوية انبساط وفرفشة !··

فقال له أبى فرفشة ايه ياابنى بس وانت شايل لنا المسدس !

ـ هو كده !··

قال أبى حاضر يا ابنى حتغنى حتغنى كل اللى انت عايزه ، بس هدى نفسك ·· غنى له يابنتى أمرنا لله !

وصممت على الا اغنى !··

لم يكن تصميمي عن شجاعة فالمسدس على بعد متر منى
ولكن تصميمي كان عن عناد ٠٠ وعن ايمان

وبدأ المسدس يتململ فى يد الرجل وهو يقول بكلمات تلاعبت بها الخمر : يعنى مابتغنيش ؟!

ورد أبى بسرعة حتغنى يا ابنى اصبر عليها بس صبرك بالله !٠٠

و

أنقذتنا عناية الله

ففى تلك اللحظة دخل الى الدوار واحد نعرفه صاحب عزبة مجاورة للقرية جاء فى هذه الليلة ليسمعنى بالصدفة ٠٠ عندما علم فى طريق عودته أننى أغنى هذه الليلة فى تلك القرية

ولم يحس ابن العمدة المخمور بالرجل الا بعد أن خطف منه المسدس وأوسعه ضربا !٠٠

* * *

وأعود الى القاهرة

ان الجمهور المخمور كان أقلية فى الريف ولكنه كان أغلبية يحسب لها ألف حساب فى القاهرة ٠ والمسألة كالحلقة المفرغة لا تدرى من اين بدأت ، هل العيب فى مستوى الاغانى أم فى انتشار نوع معين من الجمهور ٠٠

وعلى أى حال فلقد كان الدرس الذى خرجت به مبكرا هو ألا أياس هو أن أصمم على نشر اللون الذى كنت أغنيه ، ولم يكن يدفعنى هذا الى التعصب لما أغنيه وانما تطوير ما أغنيه بحيث يكون مقبولا وبشرط ألا أضحى بالمستوى الذى أومن به فى الغناء

شيئا فشيئا بدأ حظى يتحول

فى الواقع أن رصيدى السابق من الشقاء والتعب فى الريف بدأ يصبح ميزة كبرى أنفرد بها فحتى تلك الفترة لم أكن قد أصبحت معروفة بشكل حاسم فى مدينة القاهرة كان رصيدى كله فى الريف لقد غنيت فى مئات من القرى والكفور والنجوع والمدن

الصغيرة ، بحيث أصبح الجمهور الذى يعرفنى جمهورا آخر غير الذى تعرفه ليالى القاهرة

★ ★ ★

ان هذه الظاهرة سببت الحيرة لشركات تسجيل الاسطوانات

ان أول أسطوانة سجلتهـا كانت أغنية « مالى فتنت بلحظك الفتاك » أغنية لحنها لى احمد صبرى النجريدى وسجلتها فى شركة اسطوانات « صوت سيده » بالقاهرة · ان الشركة سجلت لى هذه الاسطوانة وهى تقدر مقدما أنها صفقة خاسرة لهـذا لم أتقـاض من الشركة اكثر من ثمانيـة جنيهات هى كل مستحقاتى عن حقوق تسجيل الاسطوانة

ثم فوجئت الشركة بأنها حققت فى الاسطوانة أرباحا ضخمة مع أن ثمن الاسطوانة كان عشرة قروش !

كيف حدث ذلك ؟ اننى لم أكن معروفة بعد لجمهور القاهرة فمن هو الجمهور الذى اشترى تلك الاسطوانة ؟

كانت المسألة ببساطة هى اننى أتميز عن مطربات القـاهرة بالجمهور الذى يعرفنى فى الريف وعندما يأتى واحد من هـذا الجمهور الى القاهرة فمن الطبيعى أنه سيشترى أسطوانة للمطربة التى سمعها ورآها وانه لم تكن هناك اذاعة بعد ولم تكن مطربات القاهرة المشهورات فى ذلك الوقت يذهبن الى الريف لم يكن الاعجاب بصوتى اذن هو سبب رواج الاسطوانة ، ولكنه كان مجرد حب الاستطلاع ·

★ ★ ★

وشيئا فشيئا بدأ رصيدى يزداد من جمهور القاهرة وبدأت شركات الاسطوانات تضاعف أجرى عن كل أسطوانة ولكن المسألة لم تكن أبدا بمثل السهولة التى اكتب بها الآن كانت هناك منافسة ، وهى منافسة حادة غالبا ·· ولم اكن أعرف بعد أحدا من كتاب صحف القاهرة ومع ذلك فان موقف الصحف والمجلات فى هذه المنافسة كان يختلف ··

أذكر أنه فى مايو سنة ١٩٢٦ نشرت احدى المجلات تعليقا يقول « للسيدة منيرة المهدية أنصار وللآنسة أم كلثوم أنصار ·· وكل

فيلم(سلامة) من افلام
ام كلثوم الاولى .

من الطرفين يدعى أن صاحبته هى ذات الصوت الاجمل ولكن ، من هو الحكم الذى يحكم بالأولوية لهذه أو تلك ؟ هو الجمهور ولا شك والآن اسمع تدفع شركة بيضافون للسيدة منيرة المهدية اربعين جنيها مقابل كل أسطوانة تملأها السيدة ٠٠ وتدفع شركة أسطوانات « صوت سيده » للآنسة أم كلثوم خمسين جنيها مقابل كل أسطوانة تملأها الآنسة !٠٠ ومعنى هـذا أن اقبـال الجمهور على شراء أسطوانات أم كلثوم أشد من اقباله على شراء أسطوانات السيدة منيرة ولهذا نجد أسطوانات الآنسـة أغلى ثمنا من أسطوانات السيدة »

انتهت كلمات المجلة انها بلا شك تعطى صورة عن تلك الفترة من سنة ١٩٢٦

فيلم (وداد) .. من افلام ام كلثوم ايضا ..

ولكن

لم يمض أسبوع واحد اخر الا وحدث تصرف غريب من نفس المجلة !

★ ★ ★

ان المنافسة الغنائية فى سنة ١٩٢٦ كانت قد تبلورت بحيث تركزت فى النهاية بين منيرة المهدية وفتحية أحمد وبينى

وقد أرادت المجلة المذكورة ـ هكذا قالت ـ أن تصل الى رأى قاطع فى هذه المنافسة قالت المجلة « ثارت فى الايام الاخيرة ضجة حول الغناء والمطربات أيهن اجمل صوتا وايهن أعمق فنا وأعذب نغمة وأسمى روحا وأدق تصويرا الخ فكتب

كاتب فى (البلاغ) فى هذا الموضوع وقام ثان فى (الاهرام) وثالث فى «السياسة» .. وكان مدار كل هذه المقالات هو السيدة فتحية أحمد والمقارنة بينها وبين الآنسة أم كلثوم والخروج من هذه المقارنة بتفضيل الاولى على الثانية وتعرض البعض للسيدة منيرة المهدية ولم يحترم درجة الامتياز التى نالتها فى مباراة الغناء المسرحى (أجرتها وزارة الاشغال) فقام ووضعها هى أيضا على المشرحة أما سوى هؤلاء مثل السيدات نعيمة المصرية وتوحيدة وفاطمة سرى وفاطمة قدرى فلم يعرض لهن أحد بكلمة ولهذا رأينا أن نقوم باستفتاء حضرات القراء ، وأن نقصر الاستفتاء على هؤلاء المطربات الثلاث اللاتى يدور حولهن الأخذ والرد وهن الآنسة أم كلثوم والسيدتان فتحية أحمد ومنيرة المهدية

« وموضوع الاستفتاء هو

« أولا من هى الاجمل صوتا بين هؤلاء المطربات الثلاث

« ثانيا من هى التى يؤثر فيك صوتها أكثر من سواها ؟

و (يؤثر فيك) معناها هنا (يشجيك)

« ثالثا من هى الاكثر الماما بفن الغناء

« رابعا اذا فرضنا أن هؤلاء المطربات الثلاث كن يغنين فى ليلة واحدة فى أماكن مختلفة فأيهن تفضل أن تذهب لسماعها »

هذا ما نشرته المجلة

وفى الاسبوع التالى مباشرة قامت بنشر النتيجة

كانت النتيجة ــ كما نشرتها المجلة ــ هى أن ترتيب المطربات هو

أولا فتحية أحمد

ثانيا منيرة المهدية

ثالثا أم كلثوم !

ومهما كانت الدوافع وقتها وراء اخراج النتيجة بهذا الشكل الا أننى فى الواقع صدمت من سيطرة الصداقات الشخصية على الصحفيين المتصلين بالوسط الفنى

لم أكن اختلط بأحد الكتاب أو الصحفيين لم أكن أهتم الا بتطوير صوتى وغنائى مازال هذا رأيى الى اليوم برغم الصعوبات التى خلقها هذا الاسلوب أمامى

مصرفون MisrFone

ولكن المهم أننى اعتبرت أنالنتيجة التى نشرتها المجلة صحيحة· فلتعتبرنى المجلة مطربة من الدرجة الثالثة لا يهم ولكن المهم هو ألا أبقى فى الدرجة الثالثة !

ان مثل هذه الاشياء كان من الممكن أن تكون بالنسبة لى حافزا على اليأس بحيث أن أعود الى الريف من جديد

وكان من الممكن أن تكون حافزا لى على بذل مزيد من الجهود بحيث أبقى وأستمر وأعمل

وهذا ما حدث

أصبحت أعتبر أن المشاكل ليست صعوبات وانما هى تحديات المشاكل ليست أعذارا عن الكسل وانما هى مبررات للعمل وفعــلا

لم يمض وقت طويل قبل أن أقرأ أول مقال أمين عنى كتبه صاحبه قبل أن يرانى

لقد نشر المقال وقتها فى جريدة (السياسة) وكان كاتبه الشيخ مصطفى عبد الرازق

هذا هو أول مقال صحفى أعتز به فى حياتى الفنية ومازلت حتى اليوم أشعر نحوه بوفاء بالغ

ولم تمض فترة أخرى حتى كنت قد بدأت فعلا ألتقى بحظى

لقد بدأ حظى يتحول مع أغنية « ان كنت أسامح وانسى الأسية »

هذه الاغنية اشترى الجمهور منها نصف مليون أسطوانة !

ولكن سعادتى بدأت تتضاعف بعد ذلك بعدة سنوات عندما كنت بالاسكندرية جالسة فى كازينو بالشاطبى أمام الكازينو كباريه·

فى هذا المساء لم أصدق أذنى ! لقد سمعت مطربة تغنى فى الكباريه قصيدة أبا الزهراء !

ليلتها لم أنم حتى الصباح !

لم أنم من فرط سعادتى لقد أصبح الجمهور مقتنعا بسماع أبا الزهراء قد جاوزت قدرى » حتى فى كباريه ! تطور لا يمكن تقديره فى رأيى بأى مبلغ من المال !··

مصرفون
MisrFone

من مذكرات أم كلثوم

أمي وأبي..
والشيخ أبو العلا!

MisrFone

« اضطررت الى الغناء أربع ساعات.. دون ان يسمعنى أحـــد غير مائتى كرسى كراسى لا يجلس عليهـــا فرد واحد..كراسى سمعتنى فى صمت بليغ! »

(أم كلثوم)

كانت أمى سيدة بسيطة جدا !
لم تكن تعرف القراءة أو الكتابة لم تكن متعلمة
ولكنها كانت مثالا للسيدة التى تعرف كيف تقوم بواجبها نحو زوجها ونحو أولادها

لهذا لم يتزوج أبى غيرها !

ولم تكن هذه عادة مألوفة فى الريف ، ولا حتى فى أسرتى نفسها كان لى ثلاثة أعمام تزوج كل منهم مرتين أو ثلاثا

ولكن أبى كان يقدر فى أمى حكمتها وبساطتها وتفانيها فى تربيتنا

لقد تعلمت منها التواضع

وتعلمت منها الصدق

وتعلمت منها الايمان بالله

كنا نستيقظ فى الفجر على صوتها ـ مع أبى ـ وهى تؤدى الصلاة

ولم نرها فى مرة تختلف مع أبى بصوت مسموع

ولم نسمعها تناديه بغير « ياشيخ ابراهيم »

وكانت أمى تساعد أبى بكل ماتستطيع بل ان أبى عجز مرة عن أن يجد نقودا تكفى لشراء « كيلة ذرة » مشكلة ولكن أمى نهضت لتجمع كل مصاغها وتعطيه لأبى حتى يشترى لنا الذرة فنجد ما نأكله .. و ـ يادوب كان ثمن المصاغ يكفى لشراء كيلة الذرة !

لم تكن أمى تهتم بالنقود حتى عندما بدأنا نستقر فى القاهرة وندخر جزءا من دخلى كانت تقول ان النقود تفسد !

وفى كل مرة كنت أسافر فيها مع أبى للغناء كانت تكرر له نفس المحاضرة والنبى ياشيخ ابراهيم تاخد بالك من البنت اوعى حد يقول لك هاتها نسمع عليهـا فى البيت وتوافق أوعى تسيبها لوحدها خلى عينك عليها أولاد الحرام كتير » !

وعندما بدأنا نستقر فى القاهرة لم تكن تنام الا بعد عودتى من الغناء فى الفجر

★ ★ ★

وأمى كانت بسيطة فى فهمها لوسائل التربية ، كنا صغارا أشقياء ـ أنا وأختى وأخى ـ بحيث لا يمر يوم دون أن نلعب بأدوات المنزل فنكسر بعضها أحيانا

ولكن أمى كانت تقول لنا اللى يكسر حاجة وييجى يقول لى ياخد السبعة » !

ان « السبعة » هى سبع كراملات !

وكانت تقول لنا اللى يسرق حاجة ربنا يسخط وشـه يخليه وش حمار » !

★ ★ ★

مصرفون Misrfone

ولكنى فى مرة حاولت أن أسرق أمى !

لم تكن هى فى المنزل منزلنا المتواضع بقرية «طماى الزهايرة» فى مركز السنبلاوين ثم مر فى القرية رجل يبيع غزل البنات··

وتسابق أطفال القرية الى الرجل لشراء غزل البنات

وزاغت عينى أريد غزل البنات !

ودخلت الى المنزل ومددت يدى الى جيب أحد أثواب أمى فوجدت فيه نصف فرنك ··

أخذت نصف الفرنك وخرجت أجرى الى بائع غزل البنات

ثم توقفت عن الجرى فجأة

تحسست وجهى تذكرت أن الله سيحول وجهى الى وجه حمار كما كانت أمى تقول لنا !

وعدت الى المنزل ثم أعدت النصف فرنك الى مكانه. وخرجت من جديد أتفرج على الاطفال وهم يشترون غزل البنات

ولكن منظر غزل البنات أغرانى من جديد باعادة المحاولة عدت الى المنزل لأجد أمى قد عادت من الخارج

فى هذه اللحظة لم أتنبه الا وأنا أعترف لها بكل مافعلت

استمعت أمى الى اعترافى بارتياح كبير وهى تقول الحمد لله.

قالتها كما لو كانت قد أنقذت وجهى فعلا من التحول الى وجه حمار ..!

ثم أعطتنى هى النصف فرنك لاشترى منه غزل البنات

★ ★ ★

وكانت أمى تحب شهر رمضان جدا وطوال الشهر لم نكن نسمع سوى آيات القرآن والاحاديث النبوية

وعندما أصبح لنا منزلنا الخاص فى القاهرة كانت ترفض أن تقوم « الشغالات » بخدمتنا ونحن على مائدة الافطار ..كانتتصر على أن نجلس جميعا ـ جميع من فى المنزل ـ لتناول الافطار معا ..

وكانت تربى أولاد أختى بنفس الطريقة .

لم تكن توافق على خروجهم لاستذكار دروسهم بعيدا عن البيت. وطوال مذاكرتهم كانت تصر على أن تظل ساهرة لخدمتهم

وكانت ترفض أن تغتاب أحدا أو تتكلم عن أحد بسوء

فى الواقع أنها سيدة عظيمة

فبفضلها هى تحولت طفولتنا من أيام شقية الى أيام سعيدة من أيام فقيرة الى أيام غنية ..

ان طفولتى لم تختلف عن طفولة الكثيرين من أبناء بلدى. ان الطفولة قد تقترن فى أذهان الكثيرين باللعب بالحنان بالمرح بالعروسة الحلاوة بالجنيه العيدية

ولكنى عندما أتذكر طفولتى تقفز الى ذهنى أشياء كثيرة البرد المطر، الفقر ، الطرحة السوداء الشاى الثقيل ، الجبن القريش، الثروة التى كانت قرشا ، العظام التى كانت لحما الركوبة التى كانت حمارا الحنان الذى كان أبى الرحمة التى كانت أمى .

أتذكر أبى - رحمه الله - حينما كان يواجه مشكلته الوحيدة كل شهر كيف يوفق بين مرتبه الشهرى - الذى كان مجرد عشرين قرشا كما قلت من قبل - وبين أعباء أسرة كاملة أصغرها أخى خالد وأنا وعندما أدخلنى أبى الكتاب كانت المشكلة هى من أين يأتى بالقرش الصاغ الذى كان يجب أن يدفعه كل أسبوع لفقى الكتاب

أتذكر هذا كله عندما أتذكر طفولتى أتذكر أياما فقيرة بسعادة، شقية بفخر

فمع تقدم سنوات طفولتى تركزت حياتى فى ثلاثة أشياء

لقد كانت الاسئلة الثلاثة التى تشغلنى فى كل لحظة من تلك الايام هى

أولا - هل أجد طعاما ؟

ثانيا - هل أجد مأوى ؟

ثالثا - هل أغنى ؟

فى تلك الايام كان كل شىء فى حياتى يدور حول تلك الاسئلة الثلاثة حياتى نفسها كانت حصيلة لتلك الاسئلة الثلاثة عندما كنت أعمل آكل أنام أقرأ ، أسير أركب أشترى أسافر أسمع ، أتعلم .. فان هذا كله كان يتم بهدف واحد أن أغنى بطريقة أفضل . أن أفهم فى وقت أقل أن أنقل عواطفى لمستمعى بشكل أرق ..

كانت هذه هى حياتى منذ اليوم الذى بدأت أتعلم فيه الغناء وعمرى خمس سنوات الى اليوم الذى بدأت فيه التقى باعجاب الجمهور

على أننى وراء كل نجاح حققته ، كنت أتذكر دائما شخصا واحدا هو صاحب الفضل فيه .

هذا الشخص هو أبى !

كان أبى رجلا فقير الثقافة.. معدم الثروة ولكنه أعطانى أكبر ثروة . أعطانى حنانه أعطانى اهتمامه أعطانى اصراره على أن أنجح .. وأن أتعب قبل أن أنجح .

ان أبى علمنى درسا هاما علمنى أن النجاح - وليس ثمن النجاح - هو المهم

آخر صورة للفنان عبد السلام النابلسى التقطت له فى حفل لتكريم ام كلثوم

ولقد تعلمت من أبى أشياء كثيرة غير مجرد الغناء !

كان أبى يتمسك دائما بان يؤدى واجبه فى الواقع أن ضميره كان فى حالة صحوة مستمرة وبسبب يقظة ضميره هذه اضطررت مرة الى الغناء فى حفل عام بلا جمهور ! اضطررت الى الغناء أربع ساعات دون أن يسمعنى أحد غير مائتى كرسى كراسى لا يجلس عليها فرد واحد كراسى ظلت تسمعنى لمدة أربع ساعات فى صمت بليغ !

حدث هذا فى سنواتى الغنائية المبكرة فى الريف

لقد اتفق صاحب الفرح مع أبى على أن أذهب الى الغناء فى قريته بمركز السنبلاوين · وأعطى لأبى أجرى عن الغناء خمسين قرشا

وفى الليلة المحددة ركبت الحمار سبع ساعات قبل أن أصل الى القرية

وعندما دخلنا القرية وجدنا السرادق معدا والكلوبات مضاءة ولكن بلا جمهور !

لم يكن هناك شخص واحد ولا - حتى - صاحب الفرح

لقد تصادف أن الجو فى تلك الليلة كان فى منتهى البرد ليلة من ليالى شهر أمشير !٠٠ وفضل الناس الا يغادروا بيوتهم « حيسمعوا مين يعنى ؟! صالح عبد الحى ٠٠ والا عبد اللطيف البنا » ؟ !

وذهب أبى الى صاحب الفرح ليعيد اليه الخمسين قرشا ولكن صاحب الفرح رفض قال لأبى ياسيدى كأنها زكاة » ! قالها وانصرف !

واسقط فى يدى

ماذا أفعل ؟!

وكان رد أبى لازم تغنى !

- أغنى لمين ؟!

- مش مهم لازم نخلص ضميرنا !

- صح ولكن مفيش ناس مفيش ولا حتى واحد أغنى له ٠٠

- برضه مش مهم لازم نغنى ونؤدى واجبنا !

وفعلا !٠٠

وقفت أغنى فى هذا الحفل دون أن يسمعنى أحد !

ولكنها كانت ليلة ممتعة ! انها الليلة الوحيدة التى غنيت فيها بالريف ٠٠ دون أن تقاطع الخناقات غناءنا !

فبدلا من أن يكون محصول الليلة ثلاث ساعات خناق ونصف ساعة غناء - كما كانت العادة - أصبحت الليلة غناء فقط ولكن بلا جمهور !!

★ ★ ★

وكان أبى بسيطا فى حرصه على اعطائى مظهر المطربة الكبيرة ٠٠ وأنا غير مشهورة بعد !

MisrFone

فبعد سنوات من مطلع حياتى الغنائية استطعنا أن نستبدل بركوب الحمير ركوب القطارات ٠٠ فى سفرنا للغناء بالقرى والمدن الصغيرة

ولكننا كنا مانزال نركب بالدرجة الثالثة فى القطار

وقبل أن يصل القطار الى البلدة التى سنغنى فيها بدقائق ، كان أبى يصر على أن نغادر مكاننا فى الدرجة الثالثة ٠٠ وننزل الى المحطة من باب الدرجة الاولى حتى لا يرانا أصحاب الفرح خارجين من باب الدرجة الثالثة فيتصوروا أننى مطربة صغيرة !

★ ★ ★

وعندما جئنا الى القاهرة أول مرة أصر على أن نسكن فى فندق جوردون هاوس بشارع فؤاد فندق غال ويصر على أن يأتى لنا الطعام جاهزا من محل «سان جيمس» الذى كان من أغلى محلات القاهرة

فى الواقع أن أبى كانت تدفعه فكرة رئيسية وهى الحرص على اعطائى كل مظاهر النجاح وكان فى سبيل ذلك ينفق كل دخلنا

فعندما كنا نسافر الى الاسكندرية للغناء ــ بعد سنوات طويلة من عملى ــ كان أكبر مبلغ أتقاضاه فى ذلك الوقت هو خمسة عشر جنيها

وفى اليوم السابق على السفر كان أبى يأخذنى الى محلات « هانو » بالاسكندرية لكى أشترى فساتين جديدة بكل الخمسة عشر جنيها ثم يدفع بعد ذلك أجر السفر الى الاسكندرية من جيبه !

وعندما انتقلنا من السكن فى شارع قوله بحى عابدين فى القاهرة أصر على أن نسكن فى شقة فاخرة بعمارة بهلر فى حى الزمالك شقة تضم سبع حجرات وثلاثة حمامات ، ثم طباخا لاعداد الطعام شقة غالية ايجارها خمسة وعشرون جنيها وهو مبلغ مرتفع جدا فى ذلك الوقت ، ويمثل عبئا ماليا باهظا بالنسبة لنا

★ ★ ★

وكان والدى واسع الافق بعيد النظر رغم تعليمه المحدود الذى اقتصر على تعلم القرآن وترتيله وبعض التدريبات التى كان

بفطرته يصر على أن أقوم بها تبينت فيما بعد أنها تطبق فى مدارس الكونسرفاتوار الحديثة

فمثلا

كان أبى يصر على أن أتناول أطعمة معينة ومشروبات معينة منها مثلا مشروب عبارة عن خليط من البيض النىء وسكر النبات واللبن الساخن

وكان يصر على أن انام مبكرا وأستيقظ مبكرا فى الايام التى لا يكون عندى فيها غناء

وكان يصر على أن أمارس يوميـــا بعض الالعاب الرياضية اللازمة لتوسيع الصدر واطالة الانفاس · لقـــد أحضر لى مثلا « صاندو » بسلك واحد فى السنة الاولى ثم سلكين فى الســنة الثانية ثم ثلاثة وهكذا

ولذلك فان كتفى الآن أعرض من المقاس العادى لجسمى

وكان أبى لا يألو جهدا فى تعليمى

فبمجرد أن بدأنا نستقر فى القاهرة ، وبدأنا نقيم فى شارع قوله بحى عابدين أحضر لى أبى الاستاذ محمـــود رحمى لكى يعلمنى العزف على العـــود · كان رحمى من أحسن المتخصصين فى العزف على العود · وكان أبى يطلب منه أيضا أن يدربنى على غناء أكبر عدد ممكن من التواشيح ·· لا لكى أغنيها بل لكى تكون أرشيفا غنائيا أحتفظ به فى عقلى

وكان محمود رحمى يظل يدربنى طوال النهار فى حضور أبى· وكان أبى يدفع له ثلاثة جنيهات كل شـــهر وهو مبلغ مرتفع بمقاييس تلك الايام

وكنت حتى تلك الفترة ما أزال أغنى وأنا أرتدى العقال !

وكان أبى هو صاحب فكرة ارتدائى العقال عندما بدأت أغنى فى الريف ·

كان يرى أولا أن العقال زى جـــاد يناسب ما كنت أغنيه من القصائد والمدائح النبوية

ويرى ثانيا أن منظر فتاة تغنى ليس منظرا مألوفا فى الريف فالعقال والبالطو الاصفر هما حل وسط فى رأيه

ام كلثوم مع احمد
علام فى فيلم « وداد

مصر فون
MisrFone

ولكن هذه الاسباب لم تعد ضرورية عندما بدأت أستقر فى القاهرة لأن منظر فتاة تغنى كان شيئا مألوفا فى القاهرة ·

وابى كان اول من تحمس عندما فكرت فى التخلى عن الغناء مع التخت القديم واستبداله بالغناء على الآلات الموسيقية · فحتى سنة ١٩٢٦ ، لم تكن هناك موسيقى تصاحبنى فى الغناء كان يقف معى على المسرح اربعة فقط فى زى المشايخ منهم أبى واخى خالد ·

وكانت هذه الطريقة لها معجبوها الذين يتزايدون كل يوم

ولكننى كنت اريد أن اتطور

والأهم من ذلك أننى اريد أن اتطور بارادتى قبل أن أكون مرغمة على التطور

وقلت لأبى اننى افكر فى الغناء على الآلات الموسيقية

وتحمس أبى ولكنه أصر على نقطة هامة قال انه لا يريد أن تكون المسألة تطورا والسلام وانما يجب أن يكون هذا التطور قويا لا يريد أن يصاحبنى « تخت » موسيقى والسلام وانما ألا يكون هذا التخت مماثلا لتخت العوالم !

وفعلا دفع أبى أكبر ما يمكنه لكى يحقق فكرته

لقد بدأت أغنى بمصاحبة أوركسترا لأول مرة فى مساء خميس ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦ وكانت أول أوركسترا موسيقية اتفق معها أبى تضم الاساتذة محمد العقاد وهو من أمهر عازفى القانون وقتها ، والاستاذ سامى الشوا على الكمان والاستاذ محمد القصبجى على العود

وفى أول ليلة غنيت فيها مع الاوركسترا نجحت التجربة نجاحا هائلا ، ودفع لى صديق أفندى متعهد الليالى خمسين جنيها عن الليلة الاولى فقط ثم وقع معى عقدا بدفع خمسة وثلاثين جنيها عن الليلة بعد ذلك .

وكان أبى يدفع الكثير لتنفيذ اصراره على الاستعانة بأحسن الموسيقيين .

كان يدفع لمحمد العقاد ثلاثة جنيهات ونصف جنيه عن الليلة الواحدة . ولسامى الشوا جنيهين ونصف جنيه ولمحمد القصبجى جنيهين فى الواقع أن الصحف أجمعت وقتها على تسمية هؤلاء الثلاثة بـ « أساطين الموسيقى الشرقية » .

فى الواقع أن هذه ـ وغيرها كثير ـ كانت تؤكد حقيقة كبيرة كنت ألمسها من أبى وهى اصراره الدائم على أن أنجح دائما مهما تحملنا من تكاليف اصراره على التطور لا يكفى أن يكون مجرد تطور بل من الضرورى أن يكون تطورا الى الاحسن والا فلا داعى له !

★ ★ ★

ولكنى مع هذا كنت أختلف مع أبى فى بعض الاحيان !

لقد عارضت أبى مرة واحدة عارضته بشدة ولكنها كانت المرة الوحيدة التى صفعنى فيها صفعة ساخنة !..

ذهبنا الى البنك العقارى

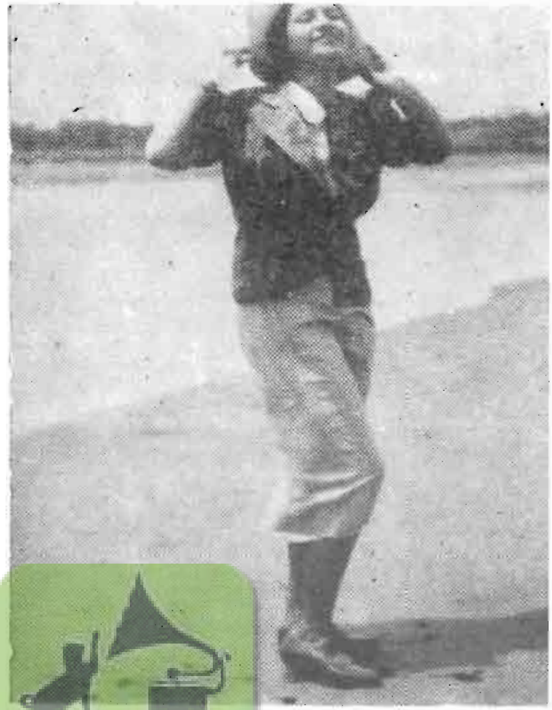

فى راس البر
صورة لام كلثوم عند الشاطىء الذى اعتادت ان تستجم فيه .

كان البنك يبيع ارضنا بالمزاد العلنى وفاء لدين متعلق بهذه الارض مساحة الارض تزيد على مائتى فدان .

وفى المزاد قام محام من المنصورة بشراء مائة وثمانية أفدنة من الارض المعروضة للبيع

وأراد ابى أن يشترى خمسين فدانا من هذا المحامى

ولكن الارض كانت محملة بديون كثيرة وهى ديون تعطى الدائن حق تتبع الارض فى يد أى مالك لها

لهذا رجوت ابى ألا يشترى الخمسين فدانا الا بعد أن يسدد المحامى كل الديون المتعلقة بها لان الارض هى التى تضمن الوفاء بديونها ..

ولم يتمسك ابى بالشرط الذى طلبته منه

ولكننى صممت على كتابة هذا الشرط فى العقد

كانت حجتى بسيطة

ان أبى شرب نفس المقلب مرتين من قبل

فى مرة اشترى أرضـــا باسمى دون أن يشترط وفاء المالك الاصلى بالديون المتعلقة بالارض · لقد اكتفى بكلمـة شرف من المالك ·

ان المالك وعد أبى بانه سيدفع الديون خلال عدة أشهر· واعتبر أبى أن هذه الكلمة كافية ثم طلب منى توقيع العقد ، فوقعت · وقبل أن تمر شهور قليلة ، فوجئنا بالحجـــز على الارض وفاء للديون التى لم يسددها المالك الاول وخسرنا الارض ·· والمال الذى دفعناه ثمنا للأرض

★ ★ ★

وتكررت هذه الحكاية مرة ثانية !

لذلك ، فعندما أراد أبى ـ للمرة الثالثة ـ أن يشترى أرضا، صممت فى هذه المرة على أننى لن أوقع العقد الا اذا نص على مسئولية المالك الاصلى فى الوفاء بالديون

ان الارض التى ضاعت منا مرتين من قبل كانت أقل من عشرة فدادين ··

ولكن الارض التى نشتريها هـذه المرة هى خمسون فدانا والأهم من ذلك اننى أشفقت من أن يضيع ما ادخرناه فى عشر سنوات مرة أخرى فى غمضة عين ·

ان الثمن الذى كنا سندفعه فى المرة الثالثة هذه ، كان حصيلة عملى وعمل أبى طوال عشر سنوات كاملة حتى سنة ١٩٣٥ ·· حصيلة كفاح شاق وطويل استمر طوال السنوات المبكرة من عملى الفنى سنوات أعتز بها وبعد هذا المبلغ كان على أن انتظر عشر سنوات أخرى على الأقل حتى أدخر مبلغا آخر من جديد ·

المهم

استمرت المناقشة تجرى بين أبى وبينى فى البنك العقارى وفى حضور عدد من الناس من بينهم مالك الارض الذى يعمل محاميا فى المنصورة

MisrFone

ولكن واحدا من الحاضرين مع المالك اثار أعصاب أبى على بدرجة كبيرة

ولم اتنبه الا وهو يصفعنى بقسوة

ولم ابك هذه المرة لقد تغلب عنادى على عواطفى

وقلت لأبى اما الآن اما بعد هذه الصفعة فاننى لن أوقع العقد أبدا الا اذا نص على هـذا الشرط ! الآن ٠٠ لن اقبل كلمة شرف من المالك لن اقبل سوى شرط مكتوب

وفعلا !٠٠

اضطر المالك فى النهاية الى توقيع العقد متضمنا الشرط الذى اصررت عليه

و لم يفاتحنى أبى فى هذا الموضوع الا بعدها بسنة كاملة

قال لى لقد كان معك الحق يوم اختلفت معى بشأن الارض٠ لقد ذهبت اليوم الى بنـك مصر فأخبرنى بانه كان سيحجز على الارض وفاء لديونها القديمة ٠٠ مما اضطر المالك السابق الى أن يقوم بتسديد ديونه ٠٠ واصبحت الارض ملكا لنا من تاريخ الوفاء بالديون(*) ٠

★ ★ ★

ان أمى وأبى هما صاحبا الفضل الاول على فى حياتى

أما الثالث فهو الشيخ أبو العلا

لقد تحدثت عن الشيخ أبو العلا من قبل

ويكفينى أن أقول انه جعلنى لاول مرة أفهم معنى ما أغنيه

عندما أقمت فى القـاهرة لاول مرة كنت أسكن ـ مع والدى وأخى خالد ـ فى فندق جوردون هاوس كان للفندق شرفة تطل على شارع فؤاد

وكان الشيخ أبو العـلا يظل يغنى لى فى الشرفة ويدربنى على الغناء ، طوال الليل ٠ لم يكن يتوقف الا فى الصباح ٠٠ عندما يبدأ الترام فى السير !

(*) تبرعت أم كلثوم بكل اراضيها لافراد أسرتها

والحقيقة أن الشيخ ابو العلا لم يحصـل على ما يستحقه من الشهرة ·

كان التيار السائد وقتها هو تيار الاغانى الخليعة ولم يكن هذا لونه · كان أبو العلا يصر على غناء الشعر العربى الاصيل

واحيانا كان الجمهور يعامله بقسوة !

لقد أنزله الجمهور مرة من على المسرح فى كازينو البوسفور، لكى يستمع الى عبد اللطيف البنا بدلا منه !

ولكن الشيخ أبو العلا كان يتحمل هذه المصاعب ويضحك منهـــا

وحتى عندما بدأ المرض يتردد عليه لم تختف الابتسامة من وجهه·

لم تختف ابتسامته حتى عندما عرف حقيقة مرضه

ولم تختف ابتسامته حتى عندما أصيب بالشلل

ولكن الموت كان أكبر منه لقد هزمه فى النهاية وسحب منه تلك الابتسامة التى لن انساها

مات الشيخ أبو العلا فى مساء الاربعاء ٥ يناير سنة ١٩٢٧

لقـد كان الشيخ أبو العـلا والدا ثانيا لى ولن يقل وفائى وامتنانى له عن وفائى لأمى وأبى ··

★ ★ ★

عند هذا الحد انتهت مذكرات ام كلثوم من الفصل التالى تبدا مذكرات اخرى · مذكرات « عن » ام كلثوم وليست منها ، مذكرات منى عنها

مصرفون
MisrFone

عندما تغنى أم كلثوم

أم كلثوم التى يعرفها الناس

مصر فون
MisrFone

« التى كانت الارض دنيــــاها
والسماء حياتها والنجوم مستمعيها»

مساء الخميس كل شخص فى مدينة طنطا يبدو عليه خارجا من منزله

« هذه ليلتنا الكبيرة هكذا قال لى مدير الفنـدق قبل ان نغادره

الناس بدأوا يتحركون فى الشوارع واحد هنا ، واحد هناك ، هناك كثير من الضحكات والتحيات حولنا رجل يتمتم لزميل له فى صوت خفيض مشيرا نحونا « ·· يا ابنى دول من مصر دول يظهر من سميعة أم كلثوم » !

لقد ذهبت الى طنطا لأشاهد هذا الحفل كمجرد نموذج لحفلات أم كلثوم ولكنه فى الواقع لم يكن يختلف عن أى حفل آخر لها الا فى المكان !··

لا تكاد تمر دقيقة من الزمن ، أو مائة متر من السير دون أن تسمع اسم أم كلثوم على الألسن ان مدينة طنطا بدت فى ثوب آخر وشكل آخر هذه الليلة· فرح ان طنطا ـ من النظرة الاولى ـ قد أعدت نفسها لهذه المناسبة

وفى هذا المساء بدأت طنطا تعبر عن عواطفها نحو أم كلثوم·· عواطف تدخرها طنطا لهذه المناسبة منذ زمن طويل مضى · هذا واضح من كل هـــذه الانوار كل هذه الزينات كل هؤلاء الناس

مظاهر الفرح والزينة تقود كلها الى مكان واحـــد الاستاد الرياضى هذا هو أضخم مكان تملكه طنطا · لهـــذا اختارته المدينة مكانا لحفل أم كلثوم الليلة سرادق·· فى الهواء الطلق مضىء منظم واسع خمسة آلاف كرسى ·

بعض الكراسى الامامية مازال خاليا· معظم الكراسى تم شغلها الضحكات تأتى من الخلف· ضحكات يقظة · الجميع يبدو عليهم

أنهم استعدوا مبكرا لهذه الليلة والجميع يبدو عليهم أنهم ناموا عدة ساعات بعد ظهر اليوم استعدادا للسهر مع أم كلثوم الجميع ظلوا يدربون أنفسهم طوال النهار على الاستماع لأم كلثوم طوال الليل !٠

داخل السرادق يتزايد عدد الداخلين ٠٠ ويقل حجم الضوضاء

داخل المسرح تجلس الفرقة الموسيقية خلف الستارة المغلقة من وراء الستار تستطيع أن تسمع ذلك الالتحام المدهش للاصوات الانسانية حول الفرقة تتصارع باقات الورد لتحتل مكانها فوق المسرح

ومن ركن جانبى خلف الستارة تستطيع أن ترى الجمهور ياه كل هذا العدد ؟!

ان ويليام ليرد كتب فى القرن السادس عشر يقول « مادام الغناء طيبا بهذا الشكل ٠٠ فأتمنى من كل الرجال أن يتعلموه » معه الحق !

ولكن نصف جمهور الليلة نساء اننى أستطيع بصعوبة أن أسمع خلفى سيدة تقول لزميلتها التى رأتها بالصدفة انت فين يا حبيبتى ؟ ايه الفستان الجنان ده ؟ طبعا اشتريته مخصوص علشان حفلة أم كلثوم هىء هىء هىء !!

★ ★ ★

بعيدا عن المسرح ، والجمهور تستطيع أن ترى أم كلثوم وهى قادمة فى الطريق ٠ لقد دخلت من الباب الخلفى للسرادق ٠ باب سرى باب يؤدى الى غرفتها الخاصة فى المسرح

ومع ذلك فان عددا من الجمهور تسلل الى هناك فى انتظار أم كلثوم انهم يرغبون فى مصافحة أم كلثوم أو حتى رؤيتها ٠ أمنية ٠

خلال لحظات كان الجمهور قد تزاحم حول أم كلثوم أين هى ؟ لا أستطيع أن أراها ٠

ونظرا لأن وجيه أباظة محافظ المدينة قد تنبأ بذلك مقدما فقد بدأ يرجو الجمهور أن يفسح الطريق لحظة ولحظة ثم بدأ الجمهور يستجيب للرجاء بدأ يفك الحزام من حول أم كلثوم وبدأت أم كلثوم تخترق هذا الحصار الجماهيرى كما لو كان حزاما من الاسباجيتى !

هل راى الحب سكارى مثلنا

ونحن في مساء الخميس

ان ام كلثوم تقيم حفلاتها دائمـــا يوم الخميس لقد اصبح لديها كومة من ايام الخميس هذه كومة تشـكل رصيدها ٠٠ ويعرفها الناس من خلالها ان عمرها كله هو مجمـوع ليالى الخميس التى غنتها حصيلة فنها كله تنفقها ليـلة الخميس ٠ فى تلك الليلة يقول لسانها سرا « اغنى واغنى واغنى٠٠ واورى الخلايق فنى » ٠ من اجـل هذه الليلة تعيش ام كلثـوم ٠ ان الموهبة هى فن تنمية الموهبة وموهبة ام كلثوم تتركز فى ان كل شىء فى حياتها يعمل بهدف تنمية موهبتها التى تبديهـا فى غنائها ليلة الخميس

★ ★ ★

وعندما بدات ام كلثوم بدا صحفى اجنبى يستمع اليها من خلالى

قال لى لاادرى سر هذه العلاقة بين الجمهور وبين ام كلثوم٠ انها لا تخترع لا تبتكـــر لا تخلق ٠ انها ليست كاتبـا ولا مؤلفا ، ولا ملحنا انها مجرد سيدة تغنى ٠ تغنى الحان الآخرين وكلمات الآخرين

وقلت له نعم هى سـيدة وهى تغنى ولكنها فنانة حينما تغنى ساحرة عنـدما تكون فنانة قمة عندما تكون ساحرة متواضعة حينما تكون فى القمة انسانة حينما تكون متواضعة

ام كلثوم هى هذا كله راقبها مثلا وهى تغنى

ان ام كلثوم حينما تغنى فانها لا تكون مجـرد مطربة تقف امام ميكروفون فوق مسرح بين جمهور داخل صالة وسط مدينة

انها تجعل الميكروفون يتراجع والمسرح يهتز والجمهـور يقفز والمدينة تسهر والبلد يرقص والفن يغنى • انها تصنع من صوتها وعواطفها ومشاعرها شبكة ضخمة تمسـك بهم – بمستمعيها – بحيث يصبح كل شىء فيهم كالآخر كل واحد مندمج فى الآخر• نحن ، انت ، هم ، هو ، كل شىء يفقـد شخصيته ويجد معنى جديدا وعواطف جديدة لمدة محدودة من الزمن •

ان المستمع يقبل معها على الحياة فى بداية غنائها – رباعيات الخيام – حينما تنادى « هبوا املأوا كأس الطلى قبل أن •• تملأ كأس العمر كف القدر » •

هكذا يطرب معها الجمهور• دعوة صريحة للاقبال على الحياة والتمسك بها الجمهور مقتنع

ومع ذلك لا تكاد تفوت ساعة حتى يقتنع الجمهور بشىء آخر • يقتنع بغنائها متوسلة الى الله « ان لم أكن أخلصت فى طاعتك •• فاننى أطمع فى رحمتك »

لقد رغب الجمهور فى الحياة منذ ساعة ، ثم طلب الرحمـة منذ ساعة رغب الجمهور فى الخمر منذ لحظة ثم استغرب ذلك بعد لحظة أستغفر الله •

ولقد كان الجمهور مقتنعا بما غنته أم كلثوم فى كل مرة ان أم كلثوم غنت رباعيات الخيام وهى فى غنائها جسمت نصف الجنة ، ولكنها عادت بعد قليل تحذر بنصف الجحيم النتيجة: خرج الجمهور بأذن من بداية القصـيدة وأذن مع نهايتـها خرج بعين فى الجنة ، وعين فى النار بقلب يرغب • وقلب – هو نفسه – يرجو المغفرة سبحان التواب الرحيم

وتستطيع أن تراقب الجمهور بطريقـة أخرى الجمهور يقفـز فى بداية عمر الخيام الجمهور يصـيح يهتف يصفق

وفى نهاية القصيدة فان الجمهور مازال يصفق ولكن بعد أن جلس على الكراسى انه يصفق انه يتحسر. انه يصفق بحسرة.

★ ★ ★

والجمهوربالنسبة لأم كلثوم هو جزء من غنائها ان دوره رئيسى جدا .. تماما كدور الملحن والمؤلف والعازف . غناء أم كلثوم هو أحلى طرب يسمعه هذا الجمهور. وتصفيق الجمهور هو أحلى أغنية تسمعها أم كلثوم لو لم يوجد هذا الجمهور ما كانت ستوجد أم كلثوم ولو لم توجد أم كلثوم ما كان سيوجد هذا الجمهور فى الواقع لايمكن تصور أم كلثوم بغير هذا الجمهور ، ولا هذا الجمهور بغير أم كلثوم الشىء وظله . الصوت وصداه . الشهيق والزفير كلاهما يكمل الاخر يفسر الآخر جزء من الآخر .

لقد تخصص هذا الجمهور فى سماع أم كلثوم ولكن الحقيقة الاخرى ان أم كلثوم تخصصت هى أيضا فى «سماع» هذا الجمهور . ان أم كلثوم تحاول أن ترضى ذوق كل مستمع. بالطبع هى لا تفعل . لا تستطيع . لا يمكن مستحيل ومع ذلك فهى تحاول

ان أم كلثوم – قبل أن تغنى بلحظات – تتطلع الىالجمهور من خلف الستار. نظرات سريعة فاحصة. مساء الخير أيهاالجمهور!

كل صيحة منالجمهور لها معناهاالخاص فى قاموس أم كلثوم. انها تتعامل مع جمهورها بشفرة سرية بكلمة بنظرة . باشارة بهمسة

★ ★ ★

وعندما تبدأ فى الغناء فانها تبدأ فى اطلاق بالونات اختبار غنائية آه هنا .. وآه هناك .حذف هنا واضافة هناك .

وللحظات قليلة فان أم كلثوم – بينما تغنى – تتبادل الادوار مع الجمهور هو يغنى وهى تستمع ! هو – أقصد – يصفق .. وهى تبتهج . هو يحيى وهى تتدلل . علاقة تقوم على الايقاع . ايقاعالحياة خذ وهات . ايقاع البحر مد وجذر. ايقاع السماء : نور وظلام ، ايقاع الرقص هى وهو . أنت فى هذاالحفل تشعربنفس الايقاع غناء من أم كلثوم ..وتصفيق من الجمهور خذ وهات . خذ غناء .. وهات سعادة

ام كلثوم فى حديث اذاعى مع ساميه صادق   اثناء حفلها فى مدينه طنطا

« القلب يعشق كل
جميل » ٠

في هذه اللحظات تجد أن عيني أم كلثوم وأذنيها متفرغة تماما لسماع الجمهور انه يهلل ٠٠ هي تتوقف ٠٠ انه يطرب هي تستمع انه يطلب التكرار هي تعيد انه يلح ٠٠ هي تعيد مرة أخرى ٠ انه يتذوق انه انه يصفق لأم كلثوم ٠

مرة أخرى تستمع أم كلثوم الى التصفيق انها هنا تحاول أن تصبح كالمكتشف كل شيء امامها له معنى ورمز تصبح كقبطان سفينة يستدير دائما ليكون مع الريح تصبح كجهاز سيموجراف كل هزة طرب تسجلها ٠ تصبح ككيميائي ! اذا اضفنا كذا لكذا تكون النتيجة استمتاع الجمهور ٠ تصبح كالاطباء الصينيين القدامى تعرف كيف تقيس كل نبضة قلب ٠

ان أم كلثوم بالنسبة لهذا الجمهور هي تاريخ انها تاريخ أسلوب كامل في الموسيقى والغنـــاء والطرب تاريخ ينتظر

فى تونس .. بين الجماهير .. بعد ان افتتحت
شارعا اطلقوا عليه ((نهج ام كلثوم))

مصر فون
MisrFone

ام كلثوم حتى يطوى صفحاته حتى ينصرف فالغناء الفردى ـ بهذا الشكل ٠٠ بهذا الاسلوب ٠٠ بهذه الطريقة ـ والطرب الغنائى بهذه الآلات بهذا التكرار كل هذا كان من المفروض أن ينتهى منذ سنوات طويلة مضت ولكن ام كلثوم اضافت ملحقا لهذا الفصل المنتهى فى تاريخ الموسيقى الشرقية٠ ام كلثوم أعادت الشباب للموسيقى الشرقية هى نفسها دواء للشباب جرعة للشباب هى نفسها اطالت انفاس هذا النوع من الغناء بعد أن تقطعت انفاسه منذ زمن طويل ٠

وام كلثوم أنفاسها طويلة غنائيا طويلة مستمرة مرتفعة انها ايضا تجد ان الجمهور يطلب منها ما لا يقبله من غيرها استثناء ان الكلمات التى يقرأها الناس فى دقيقة ويغنيها المطربون فى عشر دقائق تغنيها أم كلثوم فى ساعتين٠ المقطع الواحد تعيده مرة ومرة و ثمانى مرات ! فعلا ثمانى مرات كما حدث فى أغنية « انت عمرى » وفى كل مرة

MisrFone

ودارت الايام
ومرت الايام

يزيد انفعال الجمهور ولا يتناقص انفعال لا يتناقص ولايتجمد، ولكنه يتضاعف ٠

وهذا الجمهور ينقل انفعاله واعجابه بأم كلثوم من جيل الى جيل وراثة خذ مثلا ما كتبه جمال الدين حافظ عوض سنة ١٩٢٦ يقول « كانت الآنسة أم كلثوم ومازالت الى اليوم، موضع اعجاب الناس من الفنانين والموسيقيين وأصحاب الآذان السليمة وكانت لا تحيى ليلة تنشد فيها الا ويمتلىء المكان ويغص بالجمهور وذاع اسمها وانتشر صيتها وتهافت الامراء والاعيان على الاستمتاعِ بصوتها المطرب فى حفلاتهم الخاصة »

ولو حذفت كلمة « كانت » مما كتبه جمال الدين حافظ سنة ١٩٢٦ فسوف يظل الوصف صادقا اليوم٠ مازال الجمهور هو هو

MisrFone

عندما تغنى ام كلثوم عن الحب .. يصبح الحب مشكلة شخصية بالنسبة لكل واحد من جمهورها .

بعد أن أصبح أكبر مازال الاعجاب هو هو ولكن اضخم
مازال الانفعال هو هو ولكن أقوى

استمع اليها مثلا فى أى حفل عام وهى تغنى راقب الجمهور أيضا وكيف ينفعل

انها تغنى « فات الميعاد .. وبقينا بعاد » خسارة انها خسارة عاطفية شخصية لكل واحد من المستمعين

اذا عدت خلفا راقبها وهى تغنى « انا لن أعود اليك مهما استرحمت دقات قلبى » حرام !

بورقيبة وزوجته يستمعان الى ام كلثوم مع الجمهور اثناء غنائها فى تونس بين الجماهير .. جماهير سيدة الغناء العربى .

او وهى تغنى « ما بين بعدك وشوقى اليك وبين قربك وخوفى عليك .. دليلى احتار وحيرنى » . مشكلة مشكلة عاطفية شخصية يحس بها كل مستمع من هذا الجمهور

واذا تقدمنا الى الامام فسنستمع اليها تغنى كلمات ابراهيم ناجى

يا فؤادى لا تسل اين الهوى كان صرحا من خيال فهوى
اسقنى واشرب على أطلاله وارو عنى طالما الدمع روى

هكذا تبدأ أم كلثوم فى قصيدة الاطلال ولكنها ما تكاد تصل الى آخر خمس كلمات حتى يصبح كل شىء حولها أطلالا أطلال غناء، أطلال حب أطلال جمهور أم كلثوم نفسها تصبح أحيانا أطلالا ! لقد رآها رامى مرة وهى تأخذ حقنة طبية قبل الغناء لكى تساعدها على الوقوف ساعة وهى تشكو ألمها .

كل شىء يصبح أطلالا، ماعدا عواطف الجمهور نحو أم كلثوم . ان الجمهور يعجب بها كما لم يعجب بها من قبل وهى تغنى له كما لم تغن من قبل

★ ★ ★

والجمهور يقبل من أم كلثوم ما لا يقبله من غيرها فى الواقع هى تحس أن لديها توكيلا على بياض من جمهورها لكى تختار له وتغنى له ما تختاره وتغير فيما تغنيه

الجمهور يعلم مثلا ان قصـــيدة ابراهيم ناجي تبـدأ هكذا يا فؤادى رحم الله الهوى » ولكنه يغفر لأم كلثوم أن تغنيها يا فؤادى لا تسل أين الهوى

وفى قصيدة ريم على القاع لأحمد شوقى يقول الشاعر « فرب منتصت والقلب فى صمم » ٠ ولكنه يغفر لأم كلثوم أن تغنيها « فرب مستمع والقلب فى صمم »

الجمهور يغفر لها اذن ما لا يمكن غفـــرانه انه جمهـور استثنائى٠ جمهور حساس لكل كلمة من أم كلثوم كل همسة٠ كل آه ٠ قليل من النغم طرب قليل من الآهات متعة

وحينما تغنى أم كلثوم فكل شيء يصبح فى خـــدمة غنائها قدماها تتحــركان ـ خطوتين الى الامام وخطوة الى الخلف يداها تساعدانها فى الغناء برقة كما فى أغنية «رق الحبيب»٠ بعنف كما فى نشيد «فدائيون» ٠ بكبرياء فى أغنية «فات‌الميعاد»٠ بتفاؤل فى أغنية «انت عمرى» بحسرة فى قصيدة «الاطلال» بابتهال فى قصيدة « ولد الهدى » ٠ بمنديل فى جميع الاحوال

ان وجهها يعبر بانفعـال يداها تحتضنان الهواء عيناها تؤكدان المعنى ٠ أذناها تجمعان الحصيلة

الحصيلةهى أن كل مستمع يحس أن أم كلثوم تغنى له شخصيا٠ تغنى له على انفراد ولكن على مسمع من الملايين

الحصيلة أنها عندما تغنى فان الجمهور يحس أن الحياة هى موت بغير غناء بغير طرب ٠ بغير حب ٠

الحصيلة أن أم كلثوم قامت بعملية تاميم لعاطفة الحب أصبح الحب ملكية عامة حبا للجميع

وأنت لا تستطيع أن تسأل أم كلثوم ما هو الحب ؟ اذن٠٠ اسأل من يصلى : من هو الله ؟ اســـــأل من يعيش ما هى الحياة ؟٠ اسأل من يتنفس ما هو الهواء !

الحب الذى تعبر عنه أغانى أم كلثوم هو حب من نوع خاص٠ حب يجعل النهار أطول والليل أقصر والقمر ينير أكثر والنجوم تصبح أجمل وأكبر والشجر قبل الربيع نراه أخضر

ان الفيلسوف الاغريقى أفلاطون كان يرى أن الحب ـ من بين

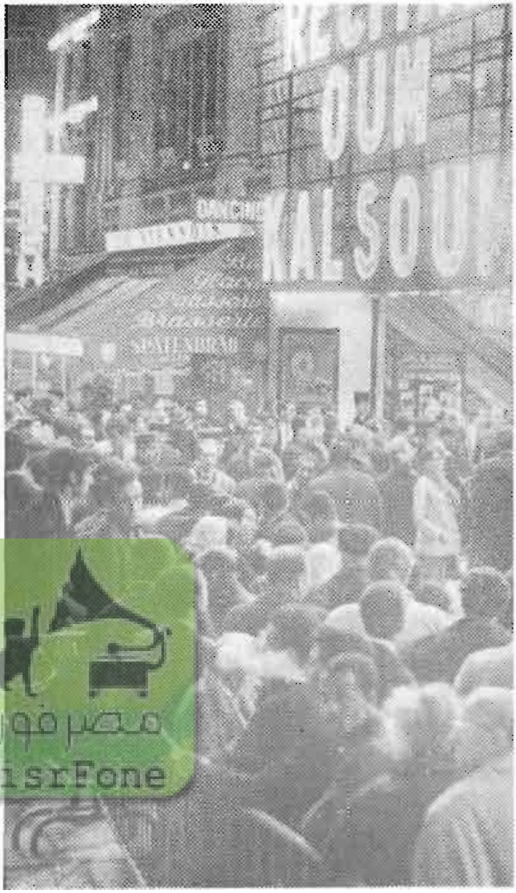

امام مسرح اوليمبيا فى باريس ٠٠ الجمهور فى انتظار التذاكر التى نفدت قبل ان تغنى ام كلثوم ٠

جميع آلهة الاغريق ـ هو أحسن صديق للرجال أحسن مساعد لهم أحسن شاف لأمراضهم

وهذا المفهوم نفسه تجده فى اغانى أم كلثوم حب للحب تماما كالفن للفن كالحياة للحياة ٠ ان الحب ـ فى اغانيها ـ يتألم بلذة يضحى فى صمت يتعذب فى سعادة ، يقاسى من بعيد انه حب لا ينتظر تعويضا عن عذابه لا يتوقع مكافأة٠ الحب مستمر٠ شىء لا مفر منه حكم أبدى قدر ٠ انه عاطفة يبحث عنها العاشقان مع علمهما مقدما بأنهما سيتألمان ولكنهما

ام كلثوم في السودان .. موكب رسمي وشعبي يحيط بهـــا الالوف من ابناء الشعب السوداني الشقيق .

– في النهاية – يقولان مع ايمرســـون « كل المتع الاخـرى لا تستحق آلامها ٠٠ الا الحب » !

وأم كلثوم – في تعبيرها غنائيا عن هذا المفهوم من الحب – انما تعبرعن مفهوم أساسي طلبه الانسان من الحب زمنا طويلا فالانسان – منذ البداية – يعيش بالحب٠ وفي الحضارات القديمة جعل الانسان للحب الها فالحب هو الاقـدم بين كل الآلهة موجود قبل كل الآلهة هكذا تصور الاغريق مثلا ان كيوبيد عندهم له صفات أربع انه طفل دائما أعمى دائما عار دائما يرمي سهامه دائما

والحب في أغاني أم كلثوم لايعبر عن موقف غالبا انه يعبر عن حالة نفسية

ان الهوى في أغانيها بلا مواعيد وعندما يأتي فانه غلاب٠ هجره مرار وعذاب ٠ يومه بسنة كل شيء فيه بقضاء

والحبيب في أغانيها له ابطاء المذل المنعم وتجنى القادر المتحكم ٠ يحرمها من رضاه ٠ يشجيه أنينها

انها تهجره حتى تنسى هواه وتودع قلبه القاسى ولكنها تكتشف أنها تفكر فيه وهى ناسية !

انها تناديه على مشهد من « الليل وسماه ونجومه وقمره وسهره » ··

انه عمرها انه حبيب الأمس وحبيب اليوم وحبيب غدا حبيب لكل العصور

انه يغمض عينيه حتى يراها يوحشها وهى أمام عينيه

وحبها له فيه « وصال ودلال ورضاء وخصام من ده وده »

و ـ الحب كده

ازاى كده ··؟

أهو ده اللى جرى !

انها اذن صورة تحدد أبعاد الحب محير دائما مؤلم دائما ممتع دائما انه حكم على الجميع ضرورى للجميع · انه حب للجميع ! انه حب لا يعبر عن الواقع كصورة فوتوغرافية انه يجمع الواقع كلوحة زيتية ليس موقفا ولكنه حالة ليس حقيقية ·· انه خيال ·

ولكن الحب فى أغانى أم كلثوم لا ينفرد بهذا الوضع الخاص· وضع استثنائى · ان كلمات الحب أيضا لها وضع استثنائى

لقد سمعت مرة رئيس وزراء ولاية بماليزيا يقول لأم كلثوم « اننا نتعلم اللغة العربية من خلال أغانيك » !

فى الواقع أن أم كلثوم تعيد الحياة الى كلمات كثيرة فى اللغة العربية هجرناها منذ مدة طويلة انها تقوم بعملية تلميع لكلمات علاها صدأ كثير فتصبح براقة ناصعة ومفهومة ! انها تقوم فى الواقع بالتوسط بيننا وبين اللغة العربية الفصحى وساطة مقبولة من الجانبين ·

خذ مثلا هذا البيت من قصيدة أحمد شوقى (سلوا كؤوس الطلا)

باتت على الروض تسقينى بصافية
لا للسلاف ولا للورد رياها

او ـ هذا البيت

حمامة الأيك من بالشجو طارحها
ومن وراء الدجى بالشوق ناجاها

ام كلثوم تصافح
الملك محمد الخامس
اثناء زيارته للقاهرة
فى يناير سنة ١٩٦٠

ان اى صحيفة لو نشرت هذه الابيات الآن لاحتاجت الى توزيع قاموس معها لشرحها · قاموس تقول فيه ان « الأيك » هو نوع من الشجر · وأن « الدجى » معناها الليل · و « الشجو » هو الهوى ··

لن تجد هذه الكلمات اليوم فى كتاب ، او مجلة ، او صحيفة ، ولا حتى فى مؤلف جامعى · نادر ·

★ ★ ★

وسحر أم كلثوم يتركز اولا فى شخصيتها · وثانيا فى صوتها · صوت أبعاده من ٦٠ الى ١٦ الف ذبذبة فى الثانية · بينما أقوى

الله بيخلى صحة ·· اياك ·· كلمات قالتها فيروز لام كلثوم فى بيروت ·· ثم قبلة على الخدين·

MisrFone

صوت يليها يصل الى ١٠ آلاف دبذبة فى الثانيـة فقط حقيقة علمية ··

هـذا الصـوت هو الذى عطل المرور فى حى شبرا بالقاهرة ساعتين عندما أذيعت اغنية « انت عمرى » سنة ١٩٦٤ حى شبرا يسكنه مليونان من السكان

هذا هو الصوت الذى هتفت له الجماهير فى تونس قائلة اهيكا أم كلثوم وعبرت عنه فيروز عندما ظلت تردد لها الله بيخلى اياك · ويسـمونه فى باكسـتان ممتـازة الامتيـاز واستقبلوا صاحبتـه فى السـودان والمغرب والكويت استقبـال رؤساء الدول !

هـذا هو الصـوت الذى كتبت عن صاحبته مجلة « تايم » الامريكية تقول « ان اسطورة أم كلثوم تكبر وتستمر منذ ٣٢عاما

لانها أشهر وأقوى شخصية فنية فى الوطن العربى وليست هناك أية علامة على أن كوكب الشرق تتأثر بالزمن ، لان العرب يؤمنون بأنه يزيدها قوة ويضيف الى صوتها غنى وصفاء وفى الشرق الاوسط هناك شيئان لا يتغيران ولا ينال منهما الزمن أم كلثوم والهرم »

أما جريدة أوبزرفر البريطانية فتقول « ان أم كلثوم هى نجمة الغناء العربى التى تجمع كل العرب حول أجهزة الراديو فى الخميس الاول من كل شهر خلال موسمها ابتداء من الخريف حتى مطلع الصيف • بينما المحظوظون الذين يستمعون اليها مباشرة فى القاعة ويرتفع صوتها فى حنان ويتماوج مع المشاعر ويعبر عنها ان أم كلثوم تعتبر مؤسسة وطنية راسخة تماما كالهرم الاكبر »

وقالت « لومانيتيه » بعد حفلها فى باريس انها فنانة تملك سلطانا مدهشا تؤثر به على الجماهير

وقالت « الاسوشيتدبرس » لقد شهد الشرق الاوسط ثورات وانقلابات ، وطرد ملوكا ، وظهر رجال أقوياء ولكن شعبية أم كلثوم بقيت كما هى منذ اكثر من نصف قرن •• فهى ملكة الغناء العربى بلا منازع •

أما جريدة « فرانس سوار » فتكرر ان شهرة أم كلثوم فاقت شهرة أعظم المطربين فى العالم الذين استمع اليهم الفرنسيون على مسرح الاوليمبيا • بل انها أصبحت أشهر من جان دارك وتفوقت على أديث بياف وماريا كالاس ان شهرة أم كلثوم فى المنطقة العربية لاترتفع اليها ولا تعادلها شهرة أى نجمة للغناء فى هذا الجزء من العالم

هذا الجزء من العالم ؟

نعم هذا ماقلته الصحيفة الفرنسية

ان المنطقة كلها من المحيط الى الخليج هى جزء واحد عندما تغنى أم كلثوم • سقطت الحواجز • ذابت الحدود • اتحدت الآذان داخل عشرة ملايين كيلو متر مربع هذه هى النقطة ان صوت أم كلثوم أقام أول سوق عربية مشتركة سوق فى حال غير الحال ليلة تغنى أم كلثوم • كل الاذاعات تنقل صوتها كل المستمعين يعطونها آذانهم • القديم والجديد ، الحكام والرعايا الوزير والفقير راكب الجمل وراكب السيارة ساكن القصر وســاكن

الكوخ مشاهد التليفزيون ومستمع الراديو ان غناء أم كلثوم موجود حيث توجد كل نسمة هواء فى هذه المنطقة لقد تركت أم كلثوم بصماتها على الهواء الذى تتنفسه هذه الأمة الحياة غير الحياة عندما تغنى العواطف غير العواطف الناس غير الناس

« هبلت الناس يا أم كلثوم »

هكذا قالت لهـــا احدى سيدات المجتمع معبرة عن اندفاع الجماهير لاستقبال أم كلثوم وهى تغنى فى تونس هكذا قال أيضا الصحفى الدانمركى دينيس دوبرلى عندما شاهدها تغنى فى ليبيا لم يكن يفهم ماتغنيه ولكنه كان يسمع كانيرى٠

★ ★ ★

« ألا ترى » ؟ هكذا يسألنى جارى فى حفل أم كلثوم بطنطا أرى ماذا ؟٠٠ « ترى ثومة » ! طبعـــا أرى ٠ طبعـــا أسمع أسمعك وأنت تهتف لهـــا « تانى ياثومة » ! وأدى زوجتـك وهى تنظر الى أم كلثوم بالنظارة المعظمة صورة تجد مثلها دائما فى جميع حفلات أم كلثوم وأرى الجميع فى حالة فرح وعندما زغردت واحدة من الحاضرات انفجر الجميع ضاحكين ضحكة رجل واحد !

طبعا أسمع وأرى هذا كله أرى خلفى زوجا وأمامى عاشقا أما أنا فمنطقـــة محايدة ! أنا محـــاط بساندويتش من الازواج والعشاق لقد جاء الزوج بزوجته فى يده وذكريات فى عقله ودمعة فى عينه ومنديل فى يده زوج مخلص

غناء أم كلثوم هو ـ بالنسبة للزوج ـ محاولة لتجميل الماضى وبالنسبة للعاشق محاولة لاكتشاف المستقبل

فالحب عند الاول ماض انتهى بدمعة وعنـــد الثانى حاضر يتحرك بابتسامة

لم يعد الماضى بالنسبة للاول ذكرى انتهت منذ سنة ولا منـــذ خمس دقائق الماضى أصبح موجودا الآن الماضى أصبح حياة٠ الماضى تحكى عنه أم كلثوم والله زمان يا حب !

والمستقبل بالنسبة للعاشق لم يعد شيئا يطويه الغيب ولا هو شىء يحذره منه الاصدقاء المستقبل أصبح موجودا الآن يتحرك

على المسرح يتدلل فى الميكروفون المستقبل أصبح هذا الذى تكشفه أم كلثوم بغنائها • المستقبل أصبح كل هذا الحب هذا الدلال •• هذا الألم هذا السحر هذه المتعة

والزوج معه طفلة طفلة فى الثانية عشرة على مايبدو انها تستمع أيضا الى أغنية الحب التى تغنيها أم كلثوم تستمع بمتعة وشغف لقصة حب ترويها أم كلثوم تستمع اليها كما لو كانت تنظر من ثقب الباب لترى ماذا يفعل الآخرون عندما يحبون ! اصبرى قليلا يا عزيزتى الصغيرة !

★ ★ ★

اننا نقول فى المسرح ان هاملت ـ بطل شيكسبير ـ هو رمز للشك وأن «عطيل» ـ بطل شيكسبير أيضا ـ هو رمز للغيرة

ولقد أصبحت أم كلثوم رمزا للحب أصبحت كذلك حتى بالنسبة للذين لم يجربوا الحب بعد • حتى بالنسبة للذين يعتبرون الحب ذنبا واثما • حتى هؤلاء يستمعون اليها كما لو كانوا يقومون برحلة الى عالم الذنوب دون أن يرتكبوا ذنبا يسبحون فى البحر دون أن تبتل ملابسهم

وعندما انتهت أم كلثوم من غنائها بدأ الجمهور ـ بصعوبة ـ يغادر كراسيه وبدأت الساعات فى أيدى الجمهور تعود الى الدوران بعد أن توقفت عقاربها أربع ساعات حتى تستمع

بدأ الجمهور يعود الى منازله « انتهى الليل وسماه ونجومه وقمره وسهره » لم يعد هناك سوى « انت •• وأنا » كلنا الآن فى الحب سواء كلنا كنا فى ليلة من ألف ليلة •

من الآن فصاعدا لن يكون الحب اثما • من الآن فصاعدا لا خطيئة لا ذنب لا خوف لا انتظار لا فراق لا ألم من الفراق

لقد تحققت النهاية أصبح لنا قلب جديد وعواطف جديدة عاد الجمهور الى منازله اثنين اثنين

عاد بالخطوة البطيئة

مصر فون
MisrFone

أم كلثوم فى البيت

مصر فون
MisrFone

« كل منا يبحث فى السـعادة
عن الجـزء الذى يهمـه »
« أم كلثوم »

أم كلثوم ست بيت فاشلة جدا !··

انها مثلا لا تجيد الطبخ ! فى الواقع أنها لم تحاول مرة أن تطبخ ولا مرة !·· انها لو حاولت فالنتيجة معروفة مقدما !

لهذا فان أم كلثوم لا تتدخل فى أعمال منزلها لديها من يقوم بذلك

ولكنها تتدخل فى أشياء أخرى تنسيق الغرف مثلا المكان الذى تعلق فيه اللوحات الفنية مثل آخر · لوحة نحاسية للعذراء تجدها فى المدخل لوحة زيتية للفنان صلاح طاهر فى الصالون· لوحة أخرى تمثل الفلاحة المصرية فى الغرفة الاولى ·· وهكذا·

وزوج أم كلثوم له ذوقه فى المنزل أيضا ان مهنته ـ كطبيب ـ تحدد ملامح ذوقه الدقة النظام الترتيب

ولهذا فبينما يختلف الدكتور حسن الحفناوى عن زوجته أم كلثوم فى مواعيد وأسلوب العمل والعادات المنزلية فانهما يتفقان فى شىء آخر الذوق الفنى ·

والواقع أن اتفاق الذوق الفنى كان أول نقطة اتفق فيها الدكتور حسن الحفناوى وزوجته هذا الاتفاق هو الذى أدى الى زواجهما فى سنة ١٩٥٥

كان الدكتور حسن من أبرز أطبائى الامراض الجلدية (الآن أستاذ فى طب عين شمس) وعندما يصبح الطبيب موهوبا فغالبا ما تمتد موهبته الى دائرة الادب والفن الدكتور **نجيب محفوظ** طبيب أمراض النساء مثل لذلك الدكتور **محمد كامل حسين** طبيب أمراض العظام مثل ثان الدكتور حسن الحفناوى مثل ثالث

والدكتور حسن من « سميعة » أم كلثوم هكذا بدأت علاقتهما مستمع ومطربة

ولكن ام كلثوم كانت تتردد عليه للعلاج فى سنة ١٩٥٤ علاقة عادية أخرى طبيب ومريضة

وتطورت هذه العلاقة العادية الى اتفاق عاطفى ثم الى الزواج وتم الزواج بعد عودة أم كلثوم من رحلتها الى أمريكا للعلاج تم فى سنة ١٩٥٥

وعندما تجلس أم كلثوم لن تسمع اسم حسن الحفناوى

وعندما تجلس مع الدكتور حسن لن تسمع اسم أم كلثوم

وجزء كبير من مجهود الدكتور الحفناوى يضيع فى الهرب من الصحفيين · قبل الزواج كان يحضر حفلاتها العامة بانتظام · بعد الزواج اكتشفته عدسات المصورين فتوقف عن الذهاب واكتفى بسماع زوجته فى البيت وعندما بدأت أم كلثوم تسافر الى الدول العربية للغناء كان الدكتور حسن يذهب الى المطار لتوديعها ومرة أخرى اكتشفته عدسات المصورين فتوقف عن الذهاب الى المطار ، واكتفى بتوديع زوجته فى البيت

ان هذه التصرفات ـ وغيرها كثير ـ هى اصرار من الطرفين على ألا تختلط حياتهما الخاصة بحياتهما العامة اصرار يصل أحيانا الى حد التزمت انه تزمت لان شخصية الانسان واحدة فى الحالين أمام الناس وبعيدا عن الناس انها شخصية واحدة ·· أو من المفروض أن تكون واحدة لهذا فان البحث فى الجانب الشخصى لحياة الفنان هو أمر مهم فى الحدود التى تؤدى الى استكمال بحث شخصيته العامة ·

ولكن مثل هذا الرأى لا يقنع أم كلثوم بسهولة ولفترة طويلة جدا ـ مازالت مستمرة ـ لم يكن أى صحفى يستطيع أن يسأل أم كلثوم عن حياتها الخاصة · عيب ان الصحفى يترك أم كلثوم فى النهاية ـ بأصبع على شفتيه ـ دون أن يناقش حياتها الخاصة ·

ولكن أم كلثوم تطورت يستطيع الصحفى الآن أن يناقشها بدرجة محدودة فى حياتها الخاصة · ولكنه سيكتشف بعد لحظة أن أمكلثوم قد حولت الحديث عنحياتها الى حديث عن فنها · فن !

ام كلثوم وحدها ..
مع نشرة الاخبار !

ان هذه العزلة التى تقيمها ام كلثوم بين شخصيتها العامة وشخصيتها الخاصة لها مظاهر كثيرة فى حياتها نفسها

ان الفيلا التى تسكنها ام كلثوم تقع على الجانب الغربى من نيل القاهرة   فيلا وردية اللون

والفيلا يحيطها سور دائرى   هذا السور هو حاجز بين امكلثوم التى يعرفها الناس   وام كلثوم التى لايعرفها الناس   حاجز مرتفع ، قبل هذا السور تحتفظ ام كلثوم لنفسها بسلطتها كفنانة. بعد السور تحتفظ لنفسها بحريتها كزوجة ، كانسانة   كفرد عادى   هنا - فى داخل هذه الفيلا - تريد ام كلثوم أن تستريح، تستريح ، تستريح   انها تستريح كمقدمة لعمل غنائى جديد. فالغناء أيضا يحتاج الى مجهود . الغناء يحتاج الى استعداد الغناء ... ... ماهذا ؟ لقد بدانا بحياة ام كلثوم فانتهينا الىغناء ام كلثوم ! الم اقل لك ان ام كلثوم تحول كل حديث عن حياتها الى حديث عن فنها ؟! انتباه .

★ ★ ★

ان شخصية ام كلثوم كفنانة هى امتداد لشخصيتها كانسانة انها غير عادية فى فنها . لهذا تصر على ان تكون عادية فىحياتها

فى أسلوبها فى حديثها هذا هو الانطباع الاول الذى تخرج به بعد أول دقيقة من الحديث مع أم كلثوم فى بيتها

ان وجهها ـ فى بداية الحديث ـ يعطى لنفسه أجازة من الانفعال مستمعا الى ماتقوله أنت على هذا الوجه نظارة سوداء خلف النظارة تختفى عين أم كلثوم متنكرة ان الانطباع الدائم الذى تتركه عيناها هو قوة الارادة عندما تصل هذه القوة الى حدها الاقصى تصبح عنادا عندما تهبط الى حدها الادنى تصبح اصرارا٠

واذا تكلمت أم كلثوم فانها تضغط دائما على حروف الكلمات٠ يداها تساعدان فى هذا الضغط تعبيرات وجهها تؤكد المعنى وجه خال من الزوايا القاطعة معبأ بالعواطف الحادة

ان الكلمات تخرج من فم أم كلثوم متلائمة مع جو الحديث انها كلمات حارة غالبا باردة نادرا كلمات مكيفة الهواء

★ ★ ★

ولكن أم كلثوم لا تندمج فى أى حديث من السطر الاول

انها ـ فى البداية ـ تتكلم براسها ، لا بشفتيها انها تستمع٠٠ وتستمع كلمة أو كلمتين ، ثم تستمع مرة أخرى

أقول ان أم كلثوم فى حياتها الخاصة منعزلة عن الناس هذه العادة جعلتنى أقول لها مرة انك قضيت ساعات وساعات على امتداد حياتك الفنية أمام الكاميرات والميكروفونات تجيبين وتسألين ٠ ان هذا كله يشير الى أنك تحبين النــاس أو تهتمين بسماع آرائهم على الاقل ٠ ومع ذلك فأنا أعرف أنك فى حياتك الخاصة نادرا ماتختلطين بالناس نادرا ما تلغين المســافة بينك وبينهم ٠ ألا ترين أن هذا تناقض ؟

وكان رد أم كلثوم ببساطة هذا صحيح اننى أهتم بمتابعة آراء المجتمع فيما أقدمه ولكننى مع ذلك لست نجمة مجتمع لست كذلك بمعنى أننى لا أفضل أن يرانى النــاس فى كل ركن يستديرون اليه ٠ لا أفضـــل أن أكون من الذين يراهم النـــاس موجودين فى كل سهرة ظاهرين فى كل مناسبة ٠ على ذلك ٠ فأنا لست من الذين يزورون كثيرا أو يزارون كثيرا لست من الذين يعيشون حيــاة صاخبــة ٠ انا حريصة فقط على أن أقوم بدورى الفنى بعدها أنسحب فورا متراجعة الى حياتى الخاصة٠

تعرف ليه ؟ لان الفنان اما أن يبنى نفسه أو يدمر نفسه وأنا حريصة – حتى الآن – على أن أبنى نفسى وهذا فى الواقع ليس تناقضا كما قد يبدو ان عملى يفرض على بعض الاعباء التى جعلتنى أختار هذا الاسلوب فى الحياة

وعدت أسأل أم كلثوم ما الذى جعلك تصبحين فنانة ؟

وردت بسرعة « لم أكن مطلقا أى شىء آخر ولا أريد أن أكون أى شىء آخر » .

هنا رفضت أن اقتنع برد أم كلثوم !

رفضت لاننى لا استطيـع أن أقول آمين هنا بسـهولة حتى لأم كلثوم !

قلت لهـا انك تحدثيننى كما لو كان عملك هو كل شىء فى حياتك ومع ذلك فأنا أعلم أن هذا غير صحح أعلم مثلا أنك تعطين حيـاتك الزوجيـة اهتماما يسـاوى على الاقل اهتمامك بعملك . أليس كذلك ؟

وضحكت أم كلثوم وهى ترد طبعا . هذا شىء وهذا شىء . مادمت زوجة فلابد أن أقوم بواجبـاتى كزوجة لابد الا يكون انشغالى بعملى عذرا لتقصيرى فى حياتى الزوجية ومع ذلك فحتى هنا ليست هـذه هى القاعدة دائما هنـاك استثناءات أحيانا استثناءات زوجية ، ليست مشاكل زوجية ان مايجعلها كذلك هو أن زوجى الدكتور حسن وأنا نقدر أعباء بعضنا أحيانا ينهمك الدكتور حسن فى أبحاثه الطبية ويسهر معها وينشغل بها . أنا لا ألومه على ذلك . نحن اذن لا نتبادل المشاكل نحن نتبادل التقدير ان كلا منا يعلم أن المشاكل الزوجية سببها غالبا سوء التقدير ما دام لا يوجد سوء تقدير فلا توجد مشاكل على أننى لا أقول ان اختفاء سوء التقدر هو الاساس الوحيد للحياة الزوجية لابد أيضا من التقدير وفى هذه الحـدود فاننى وزوجى نبنى حياتنـا على أسـاس من التقدير المستمر تقدير متبادل

★ ★ ★

ومن الامور المتكررة كل يوم جمعة أن تخرج أم كلثوم فى جولة مع زوجها سيرا على الاقدام فى شارع النيل . ان أم كلثوم تحب

المشى انها تسير يوميا لمدة ساعة تقريبا على النيل « ما عدا أيام الصيف ، لان الجو يبقى حر » ·

وهى تصلى ومن أحسن أوقاتها تلك التى تجلس فيها ممدودة القامة حافية القدمين ، مرددة آيات القرآن الكريم ان الصلاة والمشى جزءان من التقاليد الثابتة فى حياة أم كلثوم مواعيدالنوم والاستيقاظ أيضا ثابتة غالبا · فى اليوم العادى لاتتأخر عن النوم· بالكثير حتى الساعة الحادية عشرة مساء ثم تستيقظ فى الثامنة صباحا لا افطار مجرد فنجال شاى الغداء ايضا حسب الظروف أما الوجبة الرئيسية فهى العشاء

ولكن عندما تكون لديها بروفات أو حفل عام يتغير الجدول ! الغداء يصبح هو الوجبة الرئيسية لحوم طيور وخضراوات « الشعرية » من أحب الاطعمة عند أم كلثوم بعد الغداء تشرب دائما عصير فواكه طبيعى عصير معد فى المنزل· غالبا عصير جوافه

وفى ليلة الغناء لا تتناول أية أطعمة فى المساء لا عشاء ولكنها قبل الغناء لابد أن تشرب فنجال قهوة بارد عادة بعد الغناء ساندويتش ، ولا نوم حتى الصباح·

وحتى سنوات قليلة مضت كانت أم كلثوم تقوم دائما بزيارة مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب قبل أن تغنى أما الآن فهى تكتفى بقراءة آيات من القرآن الكريم انها تتمتم بآيات القرآن فى كل خطوة حتى عندما تسير فى الشارع أو تركب سيارة لقد ركبت معى السيارة مرة فى طريقها من منزلها الى مبنى التليفزيون وفى أول خمس دقائق اكتشفت أن عقلها ليس معى انها تردد آيات القرآن سرا بعد لحظات كانت مستعدة للكلام ساعتها أبطأت السيارة وبدأت أجرى معها حوارا بالخطوة السريعة

هكذا أجابت أم كلثوم

ـ ما هى أكبر خطيئة : أن ترى الخطأ ولا تنبه اليه

ـ احسن صديق شخص يشاركك ألمك

ـ احسن مكان خيث تنجح

ام كلثوم ، فى زيارة لضريح السيد البدوى ـ طنطا .

ـ اقصر طريق للنجاح   العمل

ـ احسن عمل   الذى تحبه

ـ اكبر راحة   ان تؤدى عملك جيدا

ـ اكبر خطا   الياس   انه موت مبكر !

ـ اسهل شىء   ان تجد خطا لشخص اخر

ـ اكبر عيب   الغرور

ـ احسن مدرس   شخص يرفض ان يجاملك

ـ احقر شعور   الحسد

ـ اكبر لغز   الحياة

ـ اعظم شىء فى العالم   الحب

ـ اكبر مقلب   شخص لا يفهم ما تريد

ـ اكبر عدو   اسرائيل

ـ اعظم مهمة   ان نفتدى بلدنا بحياتنا

المراة السودانية انيقة بحشمة ، محترمة باعجاب ـ هذا راى ام كلثوم

ـ **اكبر امل** ان تعود فلسطين

ـ **اشرف واجب** الدفاع عن الحق

ـ **اسمى فكرة** الله

★ ★ ★

ان أم كلثوم تتفاءل بقراءة القرآن الكريم وتتفاءل بحمل مصحف صغير فى حقيبة يدها أينما تسير · ولكنها تتشاءم اذا نسيت أن تأخذ معها عند سفرها وسادة خاصة تنام عليها · فى الواقع أنها تكره أصلا أن تتشاءم لان « التشاؤم يتحول فيما بعد الى شؤم حقيقى »

والسعادة بالنسبة لأم كلثوم « مسألة نسبية·· فما يسعدنى قد لا يسعدك وما يسعدك قد لا يسعد شخصا ثالثا ان كلا منا يبحث فى السعادة عن الجزء الذى يهمه »

أما المرأة فى رأيها فهى «·· الاساس فى كل شيء·· انها البداية نحو خلق أسرة متماسكة وكلما كانت المرأة مثقفة زادت قدرتها على فهم زوجها ودفعه الى الامام وما تقدمه بلدنا للمرأة اليوم سوف تسترده قيمة وثقافة وكفاءة من الجيل الجديد بعد عشرين سنة »

بعد هذه الجملة فان رأى أم كلثوم فى المرأة يزيد تفصيلا من رأيها مثلا

« ·· **ان المرأة السودانية** انيقة بحشمة ، محترمة باعجاب وهى بالفعل جديرة بالاحترام الذى يبديه لها الرجل السودانى·

« ·· **اما المرأة فى المغرب وتونس** فانها جميلة جدا·· خصوصا بزيها الوطنى ·· جميلة ومثقفة ··

« ·· **والمرأة اللبنانية** هى أسرع امرأة عربية الى الموضة ان الموضة تبدأ فى بيروت دائما ثم تنتشر بعد ذلك ··

« **والمرأة الكويتية** تحاول التوفيق بين حشمة مجتمعها وموضة بيروت · انها فى منتصف المسافة بين المرأة السودانية والمرأة اللبنانية ··

MisrFone

صلاح طاهر في لوحة يرسمها لام كلثوم بمنزلها

«٠٠ وعلى أى حال فان المرأة العربية بصفة عامة أصبحت تهتم بالذوق الفنى أكثر من أى وقت مضى ٠٠ والذوق فى حد ذاته جزء من الثقافة » ٠٠

والواقع أن أم كلثوم نفسها حريصة على الثقافة انها تتحدث الفرنسية ، الى جانب قليل من الانجليزية وأم كلثوم تعزف على العود وهى تقرأ كثيرا ٠ تقرأ الشعر انك لاتستطيع أن ترمى بحجر فى بيت أم كلثوم دون أن تصيب ديوانا من الشعر ٠٠ أو حتى بيتا !

ان أم كلثوم تحتفظ بدواوين المتنبى وأبو نواس وابن الفارض ومهيار الديلمى تحتفظ بكتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى وتحتفظ أيضا بمختارات محمود سامى البارودى واحمد شوقى وحافظ ابراهيم ٠ من قراءاتها أيضا كتاب « كليلة ودمنة » وكتاب « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى ٠

ومن الكتب التى تحب أن تقرأها وتعيد قراءتها كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل ٠ وكتاب « الايام » للدكتور طه حسين

بعد الكتب كانت أم كلثوم تهوى مشاهدة الافلام السينمائية وبعض المسرحيات ، خصوصا مسرحيات يوسف وهبى ٠ ولكنها توقفت عن ذلك منذ زمن طويل لقد حل الراديو والتليفزيون محل السينما والمسرح ٠ فى الراديو تحب سماع الموسيقى والبرامج الدينية

وبالاضافة الى ذلك فلديها عدد ضخم من الاسطوانات الموسيقية انها تحب سماع الموسيقى الهندية والتركية بالاضافة الى الموسيقى الشرقية

وأم كلثوم سبق أن حاولت التلحين ولكنها فشلت مرتين لقد لحنت لنفسها فى مطلع حياتها الفنية طقطوقة (على عينى الهجر دا منى) ومونولوج (يانسيم الفجر ريان الندى) وهما منظم الشاعر أحمد رامى ٠٠ ومسجلتان فعلا على أسطوانات

فى الواقع انها لم تشجع نفسها على الاستمرار فى هذا الاتجاه ، بالرغم من أن عددا من أصدقائها شجعها على ذلك السبب « ٠٠ اننى أرى أن الانسان لابد أن يرغم نفسه على التخصص » ٠

الدكتور حسن الحفناوى مع زوجته ام كلثوم
يشاهدان مباراة فى كرة القدم سنة ١٩٥٥

مصر فون
MisrFone

وايمانها بالتخصص هو الذى يجعلها تؤمن بأن التليفزيون يجب أن يكون لديه فنانوه المتخصصون انها تقول « ٠٠ كنت أحب عددا من الفنانين عندما كنت أسمعهم فى الراديو ولكننى عندما بدأت أراهم فى التليفزيون قل اعجابى بهم »

★ ★ ★

وام كلثوم بعد هذا كله تحب أن تسمع نفسها انها تقول لنفسها « آه » ! وهى عندما تفعل ذلك تكون بمفردها ام كلثوم وحدها٠ مع أم كلثوم وهى تقول « ٠٠ اننى أسوأ مستمع لنفسى ! فحينما اسمع تسجيلاتى اسمعها باذن أخرى اذن الناقد القاسى الناقد الذى يعرف أن كل شيء كان يمكن أن يكون احسن ، وعملى كان يمكن ان يكون أفضل ٠ بل اننى لا أرضى عن غنائى سوى مرتين فى السنة هما اللتان احس فيهما فعلا اننى تفوقت على نفسى » ٠

وهى تقول أيضا « اننى حريصة جدا على أن تكون حياتى مليئة بأكبر قدر من العمل ، وأكبر قدر من النظام ان العمل والنظام لم يساعدانى فنيا فقط ، وانما ساعدانى صحيا أيضا بدرجة متساوية اننى مثلا مدينة لفنى بصحتى . ان النوم المبكر والسهر نادرا والقراءة المستمرة والاستماع الدائم ليست مجرد عادات اجتماعية او ثقافية انها أيضا عادات فنية وبالاضافة الى ذلك فان الغناء بالنسبة لى هو متنفس لاشياء كثيرة متنفس لطاقات كثيرة لا أجد وسيلة أخرى للتعبير عنها

وهنا خطر لى فجأة أن أسأل أم كلثوم لماذا تغنين ؟

ـ ايه ..؟

ـ لماذا تغنين ؟

ـ آه لانني أريد أن اكتشف فى نفسي شيئا أريد التعبير عنه .

ـ وهل حققت لك أغانيك هذا التوقع ؟

ـ لا ليس بعد

ـ الا يمكن أن يكون غناؤك من أجل النقود أو من أجل الشهرة مثلا ؟

ـ ممكن ولكن هذا ليس صحيحا الآن ..

ـ ليه ؟

ـ أولا لأننى لم أعد فى حاجة الى النقود حاجتى اليها أيام طفولتى مثلا . نفس الاجابة بالنسبة للشهرة كل المسألة أننى أغنى لاننى أحس أحيانا بأنه ربما تكون لدى فكرة أريد أن انقلها أو عاطفة أريد أن أعبر عنها ، أو هواية أريد أن أمارسها تأتى بعد هذا كله نقطة هامة جدا ان الانسان لابد أن يعمل مادام قادرا على ذلك لابد أن يعمل لان قيمته هى عمله ليست ثروته .. ليست شهرته وأنا لا أتصور يوما من حياتى يمر من غير عمل اننى حريصة على أن تكون حاتى اطارا لعملى . حياتى هى الاطار والعمل شىء مكمل له شىء مجمل له ..

ـ بمناسبة العمل هل يتطلب عملك نفقات كثيرة فى بعض النواحى الملابس مثلا ؟

ـ لا ليس دائما وليس كثيرا آه تصور انه نشر عنى خبر مرة يقول ان الفستان السواريه الذى أرتديه يتكلف

٤٠ جنيه   معقول ؟ لا أدرى من أين جاءوا بهذا الرقم   ان فساتينى تتكلف أقل من ذلك بكثير . أقل جدا

– وافرضى أنه يتكلف ٤٠٠ جنيه   يجرى ايه ؟

– لا شىء   الا أن المهم فى المسألة ليست تكاليف الفستان انما ذوقه   هكذا أرى   وبالنسبة لى فاننى لا أنقل الموضة مع أننى أتابعها   أتابعها لكى آخذ منها ما يناسبنى   أنا لا أريد أن أرتدى فستانا يلفت نظر النـاس   والا تبقى معرض موش موضة ! ان أهم أربع صفات فى الفستان الذى أرتديه هى أولا – أن يكون حشمة . ثانيا – الا يكون متخلفا عن خطوط الموضة السائدة   ثالثا – أن يكون هناك ذوق فى ألوانه

بمعنى أن تكون الالوان منسجمة فى تركيبها مع بعضها   أما الصفة الاخيرة فهى أن يكون الفستان بسيطا   ان البساطة هى دائما المشكلة .. وهى الحل » !

★ ★ ★

وعندما انتهت أم كلثوم من كلماتها بدات افكر   انه سوء تفاهم

هذا سوء تفاهم منتشر بين أم كلثوم من ناحية   وبين جزء من جمهورها من ناحية أخرى . نتيجة غير مقصودة لطبيعة العلاقة بين الاثنين   المشكلة – فى رأيى – هى أن الجمهور « يعبد» أم كلثوم   وعندما «نعبد» أحدا فاننا نضعه على مسـافة بعيدة منا   اننا نحيطه بهالة تختلط فيها حقائق قليلة بخيال كثير انه دائما يلبس « أغلى » ويتكلم « أحسن » ويتصرف بلباقة « أكثر »

انه معفى من الانفعال ومستثنى من الخطأ

وهذا هو وجه الخطأ !!

لقد سألتنى فتاة مرة   هل تعتقد أن أم كلثوم مثل أى واحدة فينا   تحب وتكره   تصيب وتخطىء   تفـرح وتبـكى تتفاءل وتتشاءم ؟

طبعا أم كلثوم هى هذا كله ! ان صورة أم كلثوم لن تكبر بمزيد من الخيال   بل بمزيد من الحقائق . أم كلثوم فى حياتها العادية ليست شخصا مختلفا عن كل الاشخاص   انها انسانة عادية جدا   ربما كان الخلاف فى الدرجة ، ولكنه ليسخلافا فى النوع . خلاف يرجع الى أن عواطف الفنان دائما عواطف سكوب : عواطف مركزة وعميقة

صـــورة تحتفظ بها
ام كلثوم فى منزلها ٠٠

ام كلثوم تسعد وتتالم

طبعا هى تسعد عندما تنجح فى عملها ٠ ولكنها تتالم جدا عندما ترى مريضا امامها ولا تستطيع أن تفعل له شيئا كان لديهـا مرة « شغالة » تعمل فى منزلها ، ثم أصيبت ساقها بكسر وعلى الفور الغت كل ارتباطاتها السابقة ونزلت بالفتاة الى مستشفى الهلال بالقاهرة وبعد أن أجرى المستشفى اللازم للفتاة استعدت ام كلثوم للعودة الى منزلها تاركة الفتاة فى المستشفى بناء على طلب الاطباء ٠ فى هذه اللحظة بكت الطفلة ٠ « ٠٠ قالت لى لازم ارجع معاكى ولم أستطع أن أحتمل دموع الطفلة عدت بها معى وطلبت من الطبيب أن يعالجها فى المنزل »

ام كلثوم تفرح وتبكى لقد بكت مرة بد نجاح حفلتها بمدينة باريس سنة ١٩٦٨ وقتها قالت « مع كل هذا النجاح الذى حققه

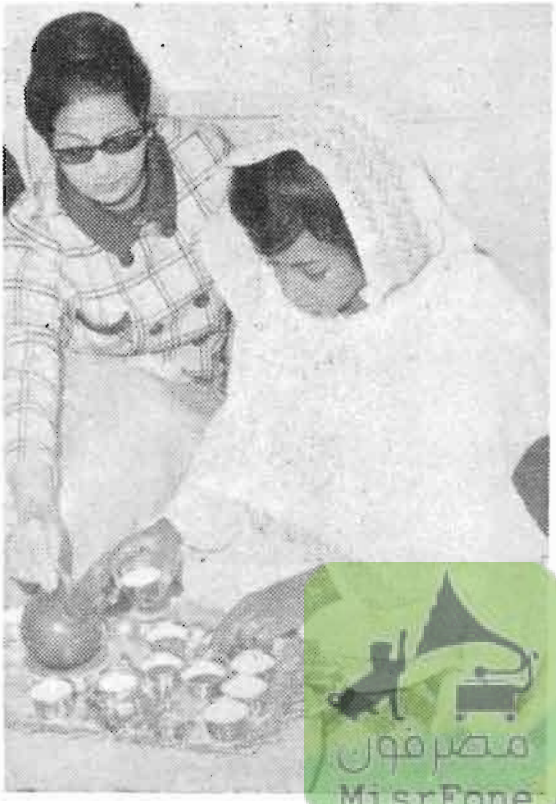

فنجان قهوة على الطريقة السودانية ، اثناء زيارة ام كلثوم للخرطوم ..

مصر فون
MisrFone

الحفل الا اننى كنت أتمنى ان أمثل بلدى هنا وهى فىظروف افضل مما هى أصبحت فيه بعد النكسة » ٠

ام كلثوم تعرف الازمات النفسية

ان اعنف أزمة مرت بها فى السنوات الاخيرة كانت قبل وبعد علاجها من تضخم الغدة الدرقية٠ لقد ظلت الغدة تؤلمها لمدة ثمانى سنوات الامر الذى هددها بالتوقف تماما عن الغناء ٠وعندما ذهبت الى أمركا لعلاج الغدة سنة ١٩٥٤ توفى أخوها خالد وهى هناك يومها حرص الاطباء على عدم ابلاغها بالخبر بعد ان علموا مدى حبها لخالد ..

وعادت ام كلثوم الى القاهرة فعلا دون ان تعلم بالخبر انها لم تعلم الا بعد أن وصلت الى المنزل خبر سبب لها أقصى

موريس شيفالييه   عندما زار ام كلثوم فى منزلها

درجات الألم   في الواقع ان وفاة اخيها سببت لها ازمة نفسية لازمتها مدة طويلة ·· خلال هذه الازمة اعتزلت ام كلثوم الحياة تقريبا   كانت تحبس نفسها فى حجرة صغيرة بالمنزل دون ان تتكلم الى احد   او تطيق ان يتكلم اليها احد

وبسبب هذه الازمة تدخل الاطباء

قال الاطباء انه لا امل «   لا امل فى ان تعود ام كلثوم الى حالتها النفسية الاولى الا اذا عادت الى الغناء من جديد » ·

وام كلثوم تكره

انها تكره ان يخدعها احد   انها تروى مثلا هذه القصة « انتهيت من الغناء فى احدى الحفلات ·· ثم جاء الى واحد من المعجبين الذين اعتز بهم

قال لى   ايه ده   انت كنت مش معقولة الليلة دى !

سألته   يعنى ايه ؟

قال   يعنى عملتى حاجات ما حصلتش قبل كده

سألته يعنى ايه ؟

قال يعنى كنت روعة كنت عظيمة كنت مبدعة

ولم افعل شيئا غير أننى شتمته !

لقد فعلت ذلك لاننى فى تلك الليلة بالذات لم اغن كما يجب ان اغنى كانت أعصابى متوترة وحالتى النفسية سيئة ··

فلم استطع ان اكون فى مستواى العادى ولهذا كرهت من هذا المستمع نفاقه واحدة من اثنين اما انه لا يفهم ، وانا لا احب أن يسمعنى من لا يفهم واما أنه يفهم ولكنه ينافقنى· وانا اكره من ينافقنى لانه لن ينبهنى الى عيوبى » !

وأم كلثوم تضحك !

ان خفة دمها هنا قد تتركز فى موقف ، أو صدفة ، أو قفشة·

دخل اليها فى البيت مرة زميل صحفى زميل قصير القامة وصافحته أم كلثوم واقفة وهى تقول له أظن انت الواحد يقعد لك ·

وكان الموسيقار محمد القصبجى مشهورا عنه بانه يصبغ شعر راسه وسوالفه حتى يبدو اسود اللون دائما ولكن أم كلثوم قالت له فى البيت مرة كفاية باه يامحمد دى بقت ختامة !

وفى مرة أخرى كان محمد القصبجى مسافرا معها فى القطار· ثم تذكر فجاة انه نسى ان يصبغ شاربه فاخرج قلما اسود من جيبه وبدأ يصبغ شاربه · حينئذ أشارت اليه أم كلثوم ضاحكة شوفوا الرجل رجع شاب « بجرة قلم » !!

وفى مرة علقت لى على مقال نشر عنها فى مجلة أسبوعية مقال كتب بلغة صعبة للغاية وعندما قالت لى أم كلثوم ان المقال لم يعجبها سألتها عن السبب فقالت لأن كل كلمة فيه لابسة عمة !!

★ ★ ★

وأم كلثوم تحب

ولكن حبها من النوع التفصيلى، المجدد انها تحب بيت شعر، أو صورة ، أو موقفا ، أو نكتة·· بالذات ، وبالتحديد وعندما تتذكر شيئا فانها تتذكر هذا البيت هذا الموقف ، هذه الصورة، هذا الطفل·· الطفل الذى يملأ بيت أم كلثوم بشقاوته هو عادل :

وعن عادل تقول أم كلثوم « ان عادل هو أشقى أطفال الاسرة كلها ومع ذلك فمنذ اليوم الذى ولدته فيه بنت عمى وأنا أحبه جدا لقد جاءت به بنت عمى منذ أربع سنوات ونصف سنة وهو رضيع لكى أبحث لها عن طبيب يعالجه من لين العظام ثم اقتضى علاجه أن يبقى فى هذا المنزل بعدها طلبت من أمه أن تقيم معه هنا انه الآن فى مدرسة الحضانة وعمره لا يزيد على خمس سنوات ومع ذلك فانه فى غاية الذكاء وسرعة البديهة .. أحيانا أتصور أنه يملك عقل رجل فى جسم طفل »

وحتى الصورة التى تحبها أم كلثوم فى ألبومها هى صورة طفلة تقبلها أثناء زيارتها للسودان فى الواقع أنك سوف تجد مثل هذه الصورة منشورة بعد كل حفلة لأم كلثوم صورة طفلة صغيرة تقبلها أم كلثوم

أكبر طفلة فى منزل أم كلثوم اسمها نعمات انها بنت ابن أخ أم كلثوم لقد انفصل أبواها بالطلاق منذ سنوات. ثم تزوجت والدتها وتزوج أبوها بقيت الفتاة الصغيرة - وعمرها تسع سنوات . أخذتها أم كلثوم لتربيها هى فى منزلها ولم تكن الفتاة قد دخلت مدرسة ولا حتى ذهبت الى كتاب وعندما بدأت نعمات تستقر فى منزل أم كلثوم أحضرت لها مدرسا خصوصيا استمر يعلمها ثمانية شهور انها فتاة ذكية .لذلك نجحت بتفوق عندما أدت الامتحان فى مقرر ثلاث سنوات دفعة واحدة . انها الآن فى السنة الثانية بالمرحلة الاعدادية ، وهى باستمرار تتفوق فى مدرستها بالذات فى اللغتين العربية والانجليزية .

ان أم كلثوم تحب نعمات مثلما أحبت عادل من قبل

ولقد سألت أم كلثوم مرة هل تعتقدين أن الزوج والزوجة هما الطرفان الوحيدان فى الاسرة ؟

قالت أم كلثوم الزوج والزوجة هما الطرفان الاساسيان فى الحياة العائلية ، ولكنهما ليسا الطرفين الوحيدين طبعا هناك أطراف أخرى ، منها وجود الاطفال مثلا ، ولعل هذا ما تقصده..

وقلت بسرعة صحيح صحيح هذا بالضبط ما أقصده ولعلنى أستطيع هنا أن أسألك فى موضوعات لم يسبق لك التحدث فيها مطلقا من قبل مثلا ألم يؤد عدم انجابك لأطفال الى اضعاف حياتك الزوجية ؟

وام كلثوم ترد· ليست الفنانة ، وانما ام كلثوم الانسانة تقول « ابدا ، ابدا ابدا بل ان هذا السبب نفسه جعل مشاعرى نحو الاطفال وحبى لهم يكبر ويتضاعف · ان أسرتى كلها تعلم مدى شعورى نحو أطفالهم وتعلقى بهم وتعلقهم بى ان أهم شيء اشتريته من السودان مثلا فى زيارتى الاخيرة كان نسناسا صغيرا · نسناسا حقيقيا لقد فرح به الاطفال جدا وفرحت انا لفرحتهم لانه لا يوجد فى الدنيا كلها ما يساوى ابتسامة طفل وسعادة طفل ولا يوجد أشقى ولا أسوأ من تعاسة طفل ودمعة طفل »

عند هذه الكلمة من أم كلثوم فقد قلمى النطق

فى الواقع أنا أعلم كم هى صادقة فى هذه الكلمات ومن يدرى لعل هذه المشاعر هى تعويض عن عاطفة أساسية اختفت من حياة أم كلثوم الانسانة

ان أم كلثوم فشلت من قبل فى أن تكون ست بيت وفشلت فى أن تكون ملحنة

ولكن فشلها الكبير حكم قدرى

لقد فشلت فى أبسط ما يدل عليه اسمها ان أم كلثوم لا تستطيع أن تكون أما !

مصر فون
MisrFone

مصرفون
MisrFone

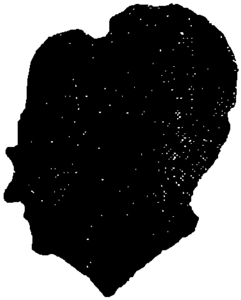

أم كلثوم
بين احمد رامى والسنباطى وعبد الوهاب!

مصرفون
MisrFone

« انها المطربة الموهوبة التى اثبتت
ان الغناء فن رؤوس وقلوب » ..
عباس محمود العقاد

ليس صحيحا أن أغنية « انت عمرى » كانت أول لقاء فنى بين أم كلثوم وعبد الوهاب !

لقد أذيعت الاغنية فى ٦ مارس ١٩٦٤

ولكن أم كلثوم وعبد الوهاب غنيا معا قبل هذه الاغنية بـ ٣٧ سنة ٠

بل ان محمد عبد الوهاب لحن أغنية أخرى غنتها أم كلثوم قبل « انت عمرى » بعشرين سنة !

لقد غنيا معا فى سنة ١٩٢٧

كان أول لقاء بين المطربة « ذائعة الصيت » أم كلثوم وبين المطرب « الشاب » محمد عبد الوهاب ٠

تم اللقاء فى منزل والد المهندس أبو بكر خيرت ان صاحب المنزل كان من هواة الموسيقى والغناء ٠ وكان بيته مقرا دائما لندوات أهل الفن وسهراتهم ٠

وفى احدى تلك السهرات تصادف وجـــود أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب ٠

و غنيا معا !

غنيا مونولوجا ـ مشهورا وقتها ـ من أوبريت «العشرة الطيبة» التى وضع ألحانها سـيد درويش وكان المونولوج من كلمات بديع خيرى تقول الكلمات :

على قد الليـــل ما يطول
مسترضى بسهرى ونوحى
وفى حبـــــك ياللى

ام كلثوم مع رياض السنباطى ، فى بروفة لاغنيتها الاخيرة التى لحنها لها

فريد الاطرش ، فى همسة منه وضحكة من ام كلثوم

مصرفون MisrFone

من أول ما اشوفك

تترد روحى

والمنولوج عبارة عن مناجاة غنائية بين فتى وفتاة

وقد تبادلت ام كلثوم الغناء فيه مع عبد الوهاب وسمعها ليلتها عدد كبير من أهل الفن ومن بينهم حسن أنور وكيل معهد الموسيقى وقتها ومصطفى رضا ٠

وحاول الحاضرون تحويل هذه المحاولة الى عمل مشترك يستمع اليه الجمهور ٠٠

ولكن المحاولة لم تنجح

★ ★ ★

وفى سنة ١٩٤٤ غنت ام كلثوم من تلحين عبد الوهاب !

لقد تمت هذه المحاولة فى سهرة ضمت توفيق الحكيم وفكرى

أباظة والدكتور عبد الوهاب مورو وكامل الشناوى والممثلة - وقتها - كاميليا - ثم ٠٠ أم كلثوم وعبد الوهاب ٠

وفى السهرة سألت أم كلثوم كامل الشناوى ألم تحرك فيك كاميليا » موهبة الشعر ؟

ورد كامل الشناوى بقصيدة يقول فيها

لست أقوى على هواك ومالى
أمل فيك فارفقى بخيالى
ان بعض الجمال يذهل قلبى
عن ضلوعى فكيف كل الجمال

ليلتها قالت أم كلثوم انها مستعدة لغناء القصيدة لو لحنها عبد الوهاب وبالفعل ٠٠ أمسك عبد الوهاب بالعود ، ولحن الكلمات ٠٠ التى ظلت أم كلثوم تغنيها - بناء على طلب الحاضرين - حتى الصباح !

★ ★ ★

مرة أخرى لم تخرج هذه المحاولة الى الضوء

ولم تتم أيضا محاولات أخرى بذلها عدد من أصدقاء الطرفين من الصحفيين ، على أن تصريحاتهما الصحفية كانت تفيض بمشاعر المجاملة والتمنيات الطيبة ٠

Misrfone

كانت أم كلثوم تقول ان عبدالوهاب يكتفى بأن يلحن لى على صفحات الجرائد ٠٠

وكان عبد الوهاب يقول اننى أعتقد أن أم كلثوم لاتريد أن ألحن لها ٠

لم يكن أيهما يثق فى الآخر بما يكفى بعد لانتاج عمل غنائى مشترك

لماذا ٠٠؟

فى الواقع توجد تفسيرات كثيرة لذلك ولكن التفسير الوحيد المقبول هو تفسير بسيط هـذا هو ان عبد الوهاب - فى مرحلته الفنية الاولى - كان فى الدرجة الاولى مطرب ٠٠ وفى الدرجة الثانية ملحن كان عبد الوهاب ملحنا خصوصيا لعبد الوهاب انه بالطبع - سيحتجز أحسن الحانه لنفسه !

ام كلثــوم ، بين القصبجي وعبده صالح

وفى نفس الوقت كانت ام كلثوم مطربة هى تغنى للجمهور، وعبدالوهاب يغنى للجمهور . هى تقف على المسرح وهو أيضا يقف على المسرح الخ

وعلى ذلك فمن المتصور أن يوجد بينهما شعور بالمنافسة احيانا منافسة حادة وهى فى كثير من الاحيان منافسة يغذيها وينميها كثير من المحيطين بالطرفين

★ ★ ★

ثم تغير الحال

تراجعت مقدرة عبدالوهاب الاولى كمطرب الى الدرجة الثانية، وحلت محلها مقدرته كملحن مرحلة أخرى دخلها عبد الوهاب والملحن ـ أى ملحن ـ عندما تصبح أصوات الآخرين هى وسيلته الوحيدة للوصول الى الجماهير .. فانه يبدأ فى التفكير بطريقة مختلفة

ان الشعور بالمنافسة لن يمنعه الآن ولكن الشعور بالتكامل هو الذى يدفعه

وبالنسبة لأى ملحن ـ فما بالك بعبد الوهاب ؟ ـ لا يوجد صوت اكثر اغراء من صوت أم كلثوم لا توجد وسيلة أخرى اكثر ضمانا للوصول الى قلوب الجماهير

من هنا بدأت طبيعة العلاقة الفنية بين أم كلثوم وعبد الوهاب تتغير .

ولكن العلاقة ـ حتى سنة ١٩٦٣ ـ لم تكن قد تغيرت بعد بما يسمح بتعاونهما معا . ان آثار سنين طويلة مضت لم تكن قد زالت تماما بعد

★ ★ ★

ثم تغير الحال مرة أخرى فى يوليو سنة ١٩٦٣

ففى احتفال ٢٣ يوليو من تلك السنة أقام نادى الضباط حفلة ساهرة حضرها الرئيس جمال عبد النـاصر وكانت أم كلثوم وعبد الوهاب من بين المشتركين فى الحفل

وفى الاستراحة دعاهما الرئيس جمال عبد الناصر الى تناول العشاء على مائدته

وقال جمال عبد الناصر لأم كلثوم وعبد الوهاب أين الاغنية التى نقرأ فى الصحف أن أم كلثوم ستغنيها ويلحنها عبد الوهاب؟ ألم يحن الوقت بعد لكى تتحول الاغنية من كلام تكتبه الصحف الى كلام يغنيه الناس ..؟!

ان جمال عبد الناصر لخص فى سطرين أمنية عاشها الجمهور أربعين سنة !

وخلال أسابيع قليلة كان العمل قد بدأ فى الاغنية الجديدة كلمات اختارها عبد الوهاب أصلا لكى يغنيها هو ولكنه عندما بدأ يلحنها اكتشف أن « اللحن لن يستطيع التعبير عنه غير أم كلثوم »

واتصل عبد الوهاب بأم كلثوم فقالت لا مانع تعال نبحث الأمر معا

ثم خرجت أغنية « انت عمرى » الى الناس خرجت كبداية فى تعاون مشترك من يومها بين أم كلثوم وعبد الوهاب .

★ ★ ★

والواقع أن ألحان عبد الوهاب لأم كلثوم تمثل مرحلة مختلفة فى تاريخها الفنى . ان عبدالوهاب نقل مستوى منافسة الملحنين

على صوت أم كلثوم الى نقطة أكثر ارتفاعا بل ان عبد الوهاب كان حريصا على أن يجعل المقدمات الموسيقية لأغانى أم كلثوم كعنوان الكتاب ، كخطاب العرش فى خطاب العرش يتعهد رئيس الوزراء أمام الملك بأن حكومته ستعمل كذا وكذا وكذا انه يعطى هذه الوعود بعد أن يهاجم كل الحكومات السابقة انه خطاب مليء بالوعود والآمال · ومقدمات عبد الوهاب الموسيقية فى أغانى أم كلثوم هى أيضا جدول أعمال قائمة وعود موسيقية طويلة !

ولقد قال لى عبد الوهاب أكثر من مرة « ان صوت أم كلثوم يتميز بأن قماشه عريض · ان فيه جمال القوة وحلاوة القفلة ورقة الجمال »

وعندما سألت أم كلثوم عن تعليقها قالت هذا رأى عبدالوهاب

ـ يعنى ايه ؟

ـ يعنى رأى عبد الوهاب !

ـ أنا عايز رأيك انت فى رأى عبد الوهاب

ـ لا أحب أن أتكلم عن نفسى ان نفسى » هى أبغض كلمة الى نفسى !·

★ ★ ★

وعبد الوهاب يرى أيضا ان « لأم كلثوم فضلين فضلا كمغنية اذ أنها جمعت من مواهب المطرب كل ما يمكن للطاقة البشرية أن تجمعه· وفضلا آخر كمساهمة بعقلها فى رفع مستوى كلمات الاغانى فى مصر والشرق فلولا عقليتها الواعية لما استطاعت أن تحتضن مثلا الشاعر أحمد رامى ، وأن تجعله يتعاون معها ويجود بالمعانى الرائعة التى تؤديها أم كلثوم أحسن أداء »

وبينما نجد أن محمد عبد الوهاب هو أحدث ملحن تعاونت معه أم كلثوم ·· فان أحمد رامى كان أول شاعر تعاون معها فى تاريخ مبكر من حياتها الفنية

لقد غنت أم كلثوم لأحمد رامى قبل أن تراه

ان أحمد رامى سافر الى باريس فى ديسمبر سنة١٩٢٢ موفدا فى بعثة دراسية من دار الكتب المصرية ·

ام كلثوم تغنى تحت سطح الهرم

وقبل سفره أعطى لصديقه الشيخ أبو العلا محمد قصيدة تقول

الصب تفضحه عيونه — وتنم عن وجد شئونه
انا تكتمنـــا الهوى — والداء أقتـله دفينـه
يهتاجنا نوح الحمـا — م وكم يحركنا أنينـه

وعاد رامى من باريس سنة ١٩٢٤ ليجد أن قصيدته قد تحولت الى أغنية مشهورة لحنها الشيخ أبو العلا · أغنية تغنيها أم كلثوم

ولم تكن أم كلثوم قد اقامت فى القاهرة بعد كانت تأتى الى القاهرة للغناء فقط ثم تعود الى قريتها أو تغنى فى مدن أخرى ·

وظل رامى ثلاثة أيام يسأل عن ميعاد أول حفـــل تغنى فيه أم كلثوم

ان أحمد رامى قد ينسى تاريخ ميلاده ولكنه لا ينسى تاريخ أول لقاء له مع أم كلثوم

٢٤ يوليو سنة ١٩٢٤

فى تلك الليلة اشترى الشاعر الشاب ـ الموظف بدار الكتب ـ احمد رامى تذكرة بخمســـة قروش دخل بها صالة سانتى فى حديقة الأزبكية حيث بدأت أم كلثوم تغنى

ويقول رامى «كنت تواقا الى أن أسمع أم كلثوم وهى تغنى قصيدتى انها لا تعرفنى بعد · ومع ذلك قمت فى اسـتحياء اقول لها كأنها تعرفنى

ـ أنا بقالى سنتين بعيد عن مصر·· ونفسى أسمع قصيدتى !

وبسرعة بديهة ردت أم كلثوم ضاحكة أهــلا سى رامى حمد الله ع السلامة حاضر !

وعندما بدأت أم كلثوم تغنى أصبحت أنا فى عالم آخر·· سحرنى الصوت · سحرنى جماله سحرتنى قوته ولم أفق الا على صوت صديق لى يقول لى بعدالغناء أم كلثوم مسافرة بكره تغنى فى رأس البر ·· مش تسلم عليها ؟!

وذهبت لأشكرها وأتمنى لها السلامة

ثم بقيت طوال الاربعين يوما التالية لاأستطيع سماع صوت آخر يغنى· الى أن عادت أم كلثوم مرة أخرى لتحيى ليلة فى كازينو البوسفور

مرة أخرى جلست صامتا فى مقعدى كالمسحور

ولكن فى هذه المرة عبرت عن شعورى فى قصيدة كتبتها عن صوت أم كلثوم أقول فيها

صوتك هاج الجوى فى مسمعى ... وأرسل المكنون من أدمعى
فيه صبابتى وفيه الضنى ... يشكو تباريح فؤادى معى
نظمت أشعارى وغنيتها ... منظومة الحباب من أدمعى
كأنما لفظك فى شدوه ... منحدر من دمعى الطيع

ولم تسمع أم كلثوم هذه القصيدة الا عندما زرتها لأول مرة فى شهر أكتوبر من تلك السنة يومها فوجئت بطلب غريب من أم كلثوم

قالت لى أريد منك أن تنظم لى أغنية زجلية !

وتوقف لسانى عن النطق ! هذا طلب لا أستطيعه ولا أقبله ! اننى حتى تلك اللحظة لم أكن قد نظمت شطرا واحدا من الزجل وحتى تلكاللحظة كنت قد أصدرت ثلاثة دواوين من الشعر ونشرت ترجمة لرباعيات الخيام عن الفارسية لا لا لن أكتب زجلا !

ولكن أم كلثوم استمرت فى الحديث قالت اننى غنيت لك من قبل قصيدة : « الصب تفضحه عيونه » وأنا أرى أن من حق الغناء أن يظفر بخيال الشعراء فى أسلوب يفهمه العامة حل وسط والا .. هل يعجبك مستوى الاغانى التى تغنى فى هذه الايام ؟!

عند هذه النقطة اقتنعت وافقت على أن أكتب الزجل لأول مرة لهذا كتبت لها « خايف يكون حبك ليه شفقة عليه .. وانتى اللى فى الدنيا ليه ضى عنية »

ثم استمررت فى كتاباتى لأم كلثوم. شعر مرة وزجل مرة. بعدها غنت لى أم كلثوم «ياغائبا عن عيونى وحاضرا فى فؤادى» - « أيها الفلك على وشك الرحيل » - «يانسيم الفجر ريان الندى» الى أن غنتلى: «ان كنت أسامح وانسى الاسية» . وهى الاغنية التى مثلت فى وقتها طفرة غنائية » .

★ ★ ★

انتهت ذكريات رامى ولكن علاقته الفنية بأم كلثوم لم تنته. فلقد غنت له أم كلثوم أكثر من مائتين وخمسين قطعة غنائية من

محمد عبد الوهاب يتأمل ، وأم كلثوم تتكلم ، أثناء بروفات أغنية (مرت الأيام) ٠

بينها « رق الحبيب » و « ياما أمر الفراق » ، « ياظالمنى » و «سهران لوحدى» و «رباعيات الخيام» و «انت الحب»٠٠الخ٠

ولكن رامى ـ فوق علاقته بأم كلثوم كشاعر له علاقة أخرى بها كمستمع ٠

فمنذ استمع اليها لأول مرة سنة١٩٢٤ لم تفته أى حفلة من حفلاتها الغنائية ٠ لقد أصبح حريصا على أن يكون « مستمعها الاول » هذا تعبير رامى ٠

وعندما كانت أم كلثوم تغنى فى الاقاليم لم يكن غناؤها ينتهى قبل الثانية صباحا فكان رامى يخرج من الحفلة جريا الى

محطة السكة الحديد حتى يلحق بقطار الصحف ويعود الى عمله بالقاهرة فى الصباح الباكر.

وحينما بدأت أم كلثوم تسجل للاذاعة فى الثلاثينات كانت تأخذه لكى يستمع اليها أثناء التسجيل فى الأستوديو ، بشرط أن يجلس صامتا تماما . كانت أم كلثوم تفعل ذلك حتى يكون رامى أمامها رمزا للجمهور فى خيالها ، جمهور صامت .

وكان رامى - طوال عمله بدار الكتب - يستعير لأم كلثوم من الدار كل دواوين الشعر العربى القديم وكتب الادب .. ثم يناقشانها معا وقد أشارت أم كلثوم لجهود رامى هذا فى مكان آخر

أما أحمد رامى فيقول « اننى مدين لأم كلثوم بنشر شعرى إن أقصى رقم وزع من أى ديوان طبعته كان خمسة آلاف نسخة ولكننى أصبحت معروفا الملايين من خلال صوت أم كلثوم ان اسطوانة (ان كنت أسامح) مثلا وزعت أكثر من نصف مليون نسخة » !

ويقول رامى أيضا اننى كنت أستفيد كثيرا من التعديلات التى تطلبها أم كلثوم فيما أكتبه ففى أغنية « دليلى احتار » مثلا ، طلبت أم كلثوم تكرار جزء من المطلع يقول وبين قربك وخوفى عليك .. دليلى احتار .. وحيرنى .

وفى أغنية « قصة حب » كنت قد كتبت بيتا أقول فيه

عشت فيها بيقينى ثم عاشت فى ظنونى

ولكن أم كلثوم قالت ان هذا البيت فيه فجوة وانه يحسن أن أوضح كيف عشت فى ذكرياتى بيقينى ثم كيف عاشت هذه الذكريات فى ظنونى

ولذلك أعدت كتابة البيت فأصبح كما يعرفه الناس الآن

عشت فيها بيقينى وهى قرب ووصال
ثم عاشت فى ظنونى وهى وهم وخيال

والواقع أن رامى معه الحق فى نقطتين بالذات

★ ان أم كلثوم نشرت بغنائها الذوق الرفيع فى اللغة

★ ان شخصية أم كلثوم تمتد الى الكلمات التى تغنيها

MisrFone

زكريا احمد يستمع
من وراء الكواليس لآخر
الحنية لحنها لام كلثوم

لقد لخص عباس محمود العقاد هاتين النقطتين عند ما كتب يقول عن ام كلثوم «٠٠ انها المطربة الموهوبة التى اثبتت ان الغناء فن رؤوس وقلوب وليس بفن حناجر وافواه فحسب فهى تفهم ماتغنيه وتشعر بما تغنيه وتعطيه من عندها نصيبا وافيا الى جانب نصيب المؤلف ونصيب الملحن » ٠٠

واستطيع ان اقول كلمات العقاد بطريقة اخـرى ان اغانى ام كلثوم هى الصدى الصوتى لأم كلثوم اما الكلمات ـ كلمات الاغانى ـ فهى الصدى العقلى لأم كلثوم

لقد غنت ام كلثوم لملحنين كثيرين الشيخ ابو العلا ـ داود حسنى ـ فريد غصن ـ احمد صبرى ـ محمدالقصبجى ـ زكريا

أحمد ـ السنباطى ـ عبـــد الوهاب ـ بليغ حمـــدى ـ محمد الموجى ـ الطويل

وغنت لشعراء كثيرين أحمد شـــوقى ـ حافظ ابراهيم ـ رامى ـ بيرم التونسى ـ ابراهيم ناجى ـ أحمد شفيق كامل ـ مرسى جميل عزيز ـ عبد الوهاب محمد ـ جورج جرداق الخ ٠

وفى كل مرة كان عقل أم كلثوم يتحول الى معمل الى جهاز يقارن ، يختار يعدل يضيف ، يحذف ، يقرر

لقد عدلت مثلا فى كلمات الشاعر احمد شوقى قصيدة « الى عرفات الله » مثلا يقول المطلع الأصلى عليك صلاة الله يا ابن محمد الاشارة هنا الى الخديو ولكنها غنته عليك سلام الله يا خير زائر٠ وفى نفس القصيدة اصطدمت بكلمة «العرصات»٠ كلمة قد يستهجنها البعض فاستبدلتها بكلمة « الشرفات »

وفى قصيدة ابراهيم ناجى « الاطلال » أضافت الى القصيدة الاصلية هاتين الشطرتين

هل رأى الحب سكارى مثلنا كم بنينا من خيال حولنـا
ثم هذا البيت

وانتبهنا بعـد مازال الرحيق وأفقنا ليت أنا لانفيق

لقد كتب الشاعر هذين البيتين أصلا فى قصيدة أخرى بعنوان « الوداع » ولكن أم كلثوم أضافتهما الى قصيدة « الاطلال » ، وبطريقة لا تستطيع اكتشافها من أول مرة

ان الأمثلة كثيرة

والمهم ليس هذا التعديل المهم أن يكون التعديل الى أحسن٠ الى أرق ٠٠

ان أمكلثوم فى حرصها على تعديل ـ ثم اعادة تعديل ـ الكلمات قبل أن تغنيها انما تضع أيدينا على مفتاح آخر لفهمها جانب آخر من شخصيتها الغنائية جانب لم يكتشفه حتى الآن غير عدد قليل من الذين عملوا معها

ان ماتبحث عنه أم كلثوم هو الشىء الجديد تبحث عن فكرة معنى تعبير جملة ، أو ـ حتى ـ كلمة ؟ انها تفعل ذلك نيابة عن مستمعيها صـفة ضرورية جدا لكل مطرب يريد النجاح أو الاستمرار فى النجاح

أمكلثوم يعجبها مثلا تعبير تقول فيه « **بافكر فيك ٠٠ وانا ناسى** »

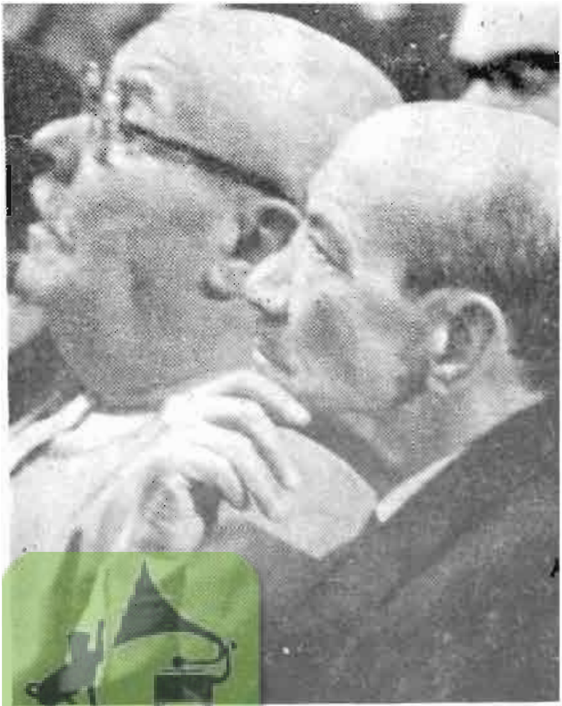

احمـــد رامى
المستمع الاول

مصر فون
MisrFone

او « عزة جمـالك فين من غير ذليل يهواك » او « واحشنى وانت قصادعينى»او« اغمض عينيك حتى ترانى » تعجبها اغنية تتلاعب فيها بكلمات تقول « يسقينا الهنا ‥ ويقول بالهنا او « ياما عيون شاغلونى ‥ لكن ولا شغلونى » ‥

تعجبها صورة دقيقة الظلال يرسمها الشاعر بقوله

ما بين بعـدك وشـوقى اليـك
وبين قـربك وخـوفى عليـك
دليـلى احتـار ‥ وحيرنى

تعجبها صورة تركز صراعا نفسيا حادا فى أربع كلمات تقول « غلبت اصالح فى روحى » او فى خمس كلمات تقول « اكاد اشك فيك وانت منى » ‥

ام كلثوم تحب أن تتذوق التعبيرات القوية المركزة تعبيرات مثل « ظالم الحسن » او « هل راى الحب سـكارى مثلنا » او

الثوانى جمرات فى دمى » تعبيرات تصور نفس المعنى بأسلوب مختلف • مرة بقولها « **انت أقرب منى ليه ٠٠ حتى وانت بعيد عليه** » ، ثم مرة أخرى « **وانت معايا يصعب عليه ٠٠ رمشة عينيه ولا حتى ثانيه** » ٠٠

لهذا السبب أقول ان مفتاح الشاعر الى صوت أم كلثوم هو عقلها والمفتاح الى عقلها هو الكلمة الجديدة ٠٠ الجملة الجديدة الصورة الجديدة مسألة عبر عنها أذكى صديق لأم كلثوم بقوله **لو كنت شاعرا لكتبت ديوانى على شفتى أم كلثوم** » سوء حظ ، فالكاتب هنا ليس شاعرا ومع ذلك فهذا أجمل تعبير قرأته لكاتب عن أم كلثوم

والواقع أن محاولة أم كلثوم للتذوق لا تقتصر على الكلمات التى تغنيها فقط ، وانما تمتد الى اللحن ايضا وان زكريا احمد ـ الفنان الموهوب الراحل ـ عندما عبر عن ذلك فى مذكراته كتب يقول ان أم كلثوم «٠٠عندما تجلس الى ملحن اغانيها أو يجلس اليها لا تكتفى بان يقدم لها لحنا واحدا أو اثنين أو ثلاثة وانما هى تريد اكثر من ذلك وقد تطلب من الملحن أن يلحن الكوبليه الواحد مرات متعددة وتتظاهر بعدم قبول هذه الالحان ٠٠ وتتظاهر بعد أن تختار واحدا من الالحان المقدمة بنسيان ماقدم للاغنية الواحدة من الحان وتجدد فى معظم الاغانى بالحان جديدة تبدو المستمع الجديد انها وليدة الساعة٠٠ وان كانت مخزونة فى أعماق ذاكرتها من بعيد »

مرة أخرى يكتب زكريا أحمد قائلا « وذات مرة قدمت لها أغنية بثمانية الحان مختلفة ، لأتيح لها فرصة الاختيار فى الوقت المناسب أو فى الاوقات المناسبة٠ اننى أعتبر أن أم كلثوم (أوسطى) من خيرة (أسطوات) الفن ٠٠ وصائغة من أمهر صائغات الغناء ٠٠ ولهذا فقد اختصصتها باكثر من ستين لحنا ليس فيها لحن يشبه الآخر فى تلحينه » ٠٠

والواقع أن زكريا أحمد لحن لام كلثوم عددا من أروع وأحب أغانيها عند الناس لحن لها « أنا فى انتظارك » و « أهل الهوى» و « الامل » و «غلبت أصالح فى روحى » و « الآهات » و «هو صحيح الهوى غلاب » و « رق الحبيب » ٠٠ الخ

وخلال أحاديث طويلة متعددة لمست من أم كلثوم وفاء بالغا لعدد من الذين صاحبوها فى حياتها الغنائية من بينهم ـ بل

ام كلثوم مع فرقتها فى بروفة قبل الحفلة

على راسهم ـ زكريا أحمد شعور تبادله زكريا احمد معها منذ اول لحنين قدمهما لها فى سنة ١٩٢٥ وهما « اللى حبك ياهناه » من تأليف احمد رامى و « هو ده يخلص من الله » تأليف بديع خيرى ..

من هـــذا اليوم ـ يقول زكريا احمـــد فى مذكراته ـ اصبحنا « القصبجي وداود حسنى وانا نلحن لها حتى قدم لها مسيو بارو مدير شركة أوديون الاستاذ رياض السنباطى . ومنذ هذا اليوم اصبح ملحنو ام كلثوم هم السنباطى والقصبجى وانا »

السنباطى ..؟!

نعم هذا هو الاسم الذى كتبه زكريا أحمد ان هذا الاسم مضلل انه لا يدل بأى حال على كل الرقة ، كل الجمال ، الذى تعبر عنه الحان السنباطى لام كلثوم ، ان ام كلثوم تؤمن بالتخصص ويبدو أن هذا هو السبب فى أنها تسند الى السنباطى القصـــائد الصعبة ـ احيانا الصعبة جدا ـ لكى يقوم بتلحينها

لقد التقت ام كلثوم بالسنباطى وهى صغيرة ، فى الواقع أنها كانت ليلة ممطرة على محطة سكك حديد الدلتا فى قرية قرين

بالدقهلية كانت ام كلثوم ماتزال فتاة صغيرة تضع العقال فوق راسها . وفى تلك الليلة وقفت بين ابيها وشقيقها وقدم والد رياض السنباطى وبرفقته ابنه رياض ، ان الابوين الشيخين كانا يتحدثان معا عن الرزق ، فالغناء هو ميدان عمل كل منهما . بعد تلك الليلة لم يلتق السنباطى بأم كلثوم الا بعد سنوات عديدة فى شركة كايروفون حيث كان السنباطى قد أصبح يعمل مدرسا بمعهد الموسيقى العربية .. وأم كلثوم نجمة مشهورة فى المنطقة بأسرها ، من هذا اللقاء بدأت ألحان السنباطى لام كلثوم واستمرت حتى الآن ، ألحان تتفوق على نفسها . خذ مثلا لحن « الاطلال » أو « دليلى احتار » أو « هلت ليالى القمر » أو « ياللى كان يشجيك أنينى » أو « رباعيات الخيام » أو « هجرتك » خذ أيضا أغنية « يا ظالمنى » وقصيدة « ولد الهدى » واغنية « لسة فاكر » و « أروح لمين » و «سهران» .. آه تصور أن السنباطى وضع لحن اغنية «سهران» فى سنة كاملة ! هذا هو السنباطى . لحن واحد كل سنة !

بعد أن يضع السنباطى اللحن تبدأ جلساته مع أم كلثوم هذه كلماته هو « أحيانا نجلس فى حجرتها الزجاجية اذا كنا فى الشتاء نهارا كاملا بلا طعام بلا ماء بلا تليفون ، بلا زوار. ان أم كلثوم تستغرق الوقت كله فى اجراء بروفة على كوبليه واحد فقط ، فأم كلثوم لاتغنى اللحن العادى أو الكلام العادى. فاللحن الذى يوضع لام كلثوم أشبه ببناء السد العالى وتمر الايام على هذا المنوال أسابيع ثم شهورا نضع فيها لحنا يخرج الى الجماهير فتلقاه بالحب والاعجاب » .

ان أم كلثوم تسمى السنباطى بالعبقرى وفى أكثر من مرة كنت ألمس منها تساؤلها عن السبب فى أن الصحف لاتعطى للسنباطى حقه من التقدير كما تعطى لغيره مازال التساؤل قائما

★ ★ ★

ان محمد القصبجى وزكريا أحمد ، ان عبد الوهاب والسنباطى، أحمد شوقى واحد رامى ، ابراهيم ناجى واحمد شفيق كامل ، بيرم التونسى ومأمون الشناوى .. كل هؤلاء — وغيرهم كثيرون — انما يضعون أيدينا فى النهاية على عدة ملاحظات تتعلق بهذا الجانب من شخصية أم كلثوم .

● **فاولا** : ان كل لحن ، كل قصيدة تغنيها أم كلثوم هى فى الواقع قطعة من نسيج طويل متصل الخيوط نسيج يمثل صدى افكار ومشاعر أم كلثوم نفسها انه صدى انه صورة انه اختيار انه تعبير من وعن شخصية أم كلثوم نفسها

● **وثانيا** انك لا تستطيع أن تقارن بين ملحن وملحن - بين شاعر وشاعر فبينما تغنيه أم كلثوم لكل منهما لا تستطيع لان المقارنات هنا - برغم فائدتها أحيانا - تصبح مضللة

● **واخيرا** فان دراسة عدد من الملحنين والشعراء الذين تعاونوا مع أم كلثوم ٠٠ مازال أمرا هاما بالنسبة لدراسة أمكلثوم نفسها دراسة تمثل فى النهاية بابا خلفيا للشخصية التى تجمع بين هؤلاء جميعا أم كلثوم

مصر فون
MisrFone

أم كلثوم بين الفن والسياسة !

مصر فون
MisrFone

ان أم كلثوم غنت واحبت فاستمرت
فى سنوات لا يستمر فيهـــا احد !..

لكى نحب بلدنا يجب أولا أن تحبنا بلدنا حب بغير شروط بغير تحفظات تماما كحب الأم لطفلها ان الأم لا تحب طفلها عندما يكون هادئا ، وتكرهه عندما يكون شقيا لا تطعمه عندما يطيعها وتجيعه عندما يخالفها لا ٠٠ الأم تحب طفلها فى كل لحظة كل ساعة كل سن٠انها تحبه ـ ليس لانه حقق لها رغباتها ـ ولكن لمجرد أنه طفلها هذا يكفى انها لا تستغل حاجته اليها ٠ لا تستغل سلطتها عليه٠ انها لا ترهبه ٠ لا تخيفه ولكنها تغريه تشجعه تدفعه انها تقدم له حبها بغير ثمن ٠ وبدون مقابل ٠٠ بلا تعويض انها تعطيه حبها خالصا ٠٠ على بياض ٠

و

لقد أعطت بلدنا ـ أمنا ـ حبها لام كلثوم على بياض بلا تحفظات هذا واحد من الامثلة القليلة النادرة فى حياتنا العامة استثناء ٠ لقد تصرفت الأم هنا بحكمة ٠ احبت طفلتها بلا حدود فكانت النتيجة ان الطفلة أحبت أمها والفنانة أحبت جمهورها و أم كلثوم احبت بلدها حبا بغير حدود ٠

وخلال سنتين اثنتين دارت أم كلثوم حول الكرة الارضية مرتين! من باريس الى المغرب من تونس الى لبنان من السودان الى ليبيا ٠ من الكويت الى طنطا من المنصورة الى دمنهور ٠ من الاسكندرية الى القاهرة

وفى كل مرة كانت أم كلثوم تعود الى القاهرة كانت تعود بمبلغ ضخم فى يدها ، وحب ضخم فى قلبها لقد غنى صوتها بعد نكسة يونو ١٩٦٧ غنى صوتها ٠٠ وجمعت يدها الحصيلة ٠

الحصيلة هى مليونان من الجنيهات قدمتهما أم كلثوم لبلدها فى سنتين تبرع اختيارى ٠ مساهمة عاجلة تبرع من الجمهور الى فنانته ومساهمة من الفنانة لبلدها

الوســـام والجائزة .. تتلقاها ام كلثوم من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى مناسبة الاحتفال بعيد العلم سنة ١٩٦٥

مصر فون
MisrFone

ولكن حب أم كلثوم لبلدها أهم من تبرع جمهورها لها· العاطفة هنا أهم من النقود · القدوة أهم من المال

ان مصر أحبت أم كلثوم بغير حدود فاحبتها ام كلثوم بغير حدود · عرفان بالجميل · تقـدير لعواطف متراكمة · وفاء لحب سابق

انك سوف تلمس مظاهر هـــذا الوفاء دائما فى كل حديث لأم كلثوم · عندما يهتف لها الجمهور فى المغرب مثلا فهى تقول : « ·· كل هذا الحب لمصر · كل هذا الهتاف من أجل مصر ·· وليس من أجلى » ·

قبلها تقول فى باريس : « أنامجرد مواطنة مصرية · لم اعمل شيئا أستحق عليه كل هذا النجاح · ان بلدى هى صاحبة الفضل الاول فى نجاحى » · هكذا تقـول ام كلثوم فى باريس ·· فى السودان ·· فى الكويت ·· فى ليبيا ·· فى لبنان ، فى كل

بلد خارج الحدود تعبر أم كلثوم عن وفائها للحب الذى تلقته داخل الحدود . فى كل عاصمة تعلن أنها عظيمة لان شعبها عظيم ساحرة لان بلدها ساحر تكافح بصوتها لأن بلدها يكافح بسلاحه

عند هذه النقطة ـ هذه النقطة بالضبط ـ انتقلت أم كلثوم الى قمة أخرى. قمة ثانية من قمة الغناء الى قمة الوطنية . من قمتها كمغنية ، الى قمتها كفرد عادي. تصور ..! الفرد العادى يستطيع هو الآخر أن يكون قمـــة فى سلوكه فى عمله فى تصرفاته فى مساهمته لبلده

لقد فعلت أم كلثوم ذلك فى المرحلة التى لم تعد تحتاج فيها الى اثبات شيء جديد انها تغنى وهى قمة حينما تغنى انها فنانة وهى قمة فى فنها .. هـــذا يكفى . لا هذا لا يكفى كما أثبتت أم كلثوم لقد تأكدت قيمتها كفنانة

بقى أن تتأكد قيمتها كفرد عادي هـــذا ضرورى فى فترة سوف يكون الفرد العادى هو بطلها فترة بدأت بعد نكســة يونيو ١٩٦٧

ففى صراع مرير لتصحيح الهزيمة أمام اسرائيل سنة ١٩٦٧ سوف يكون الفرد العادى هو دائما البطل هو القـدوة هو النموذج انه ـ بعمله باجادته لعمله بقدوته فى سلوكه ـ سوف يحسم فى النهاية معركة طويلة ، ويسوى حسابا مفتوحا مع اسرائيل

هنا بالضبط بدأت أم كلثوم تضرب المثل فى سلوكها كفرد عادى. لقد تراجع الفنان هنا الى الخلف وأفسح مكانه للفرد العادى تراجع صوتها الى مجرد وسيلة نحو هدف أكبر تعبئة العواطف بالتضحية وتعبئة الخزائن بالنقود وتعبئة البنادق بالرصاص.

هنا بالضبط بدأت شخصية أم كلثوم تنمو فى اتجاه جديد بدأت تنمو فى السن التى يتكور فيها الجسم ويتجمد الوجه وتتساقط الاسنان وتنطفىء الذاكرة هنا تعود أم كلثوم شابة من جديد..

فى السن التى تتدهور فيها الصحة ، وينكمش العقل، وتضعف الرؤية وتتثاقل الخطوات بدأت أم كلثوم تسرع خطواتها الى هدف جديد

فى السن التى يتحول فيها الماضى الى حاضر السن التى يبدأ فيها الانسان يجتر ماضيه يبدأ فى الحياة على سمعة ماضيه، بدأت أم كلثوم تعيش على سمعة حاضرها وسمعة مستقبلها

في هذه المرحلة هذه السن هذه الظروف بدأت أم كلثوم تصعد من جديد الى قمة جديدة قمة خالية

في هذه المرحلة هذه الايام بدأ الجزء الفني في شخصية أم كلثوم يتراجع الى الخلف مفسحا مكانه الى الجزء الاساسي في شخصيتها الجزء الوطني

من الآن فصاعدا سوف تصبح مواطنة أولا وفنانة بعد ذلك، المواطنة تقرر والفنانة تنفذ القرار

من الآن فصاعدا سوف تغني أم كلثوم. ولكن لصالح تبرعات ازالة آثار العدوان أو لصالح تعمير مدن القناة .. أو لأي عمل يخفف عن بلدنا آلام الهزيمة ويساهم في جهود النصر

من الآ فصاعدا سوف تحرص أم كلثوم على أن تكون مصرية بنسبة ١١٠٪ ، بعد أن أثبتت أنها فنانة بنسبة مائة في المائة تثبت بعملها ما غنته من قبل بصوتها « بني الحمى والوطن من منكمو يحبها مثلي أنا ؟ »

من الآن فصاعدا لن تكون أم كلثوم مجرد فرد مجرد جسم. مجرد انسان تأكل وتنام وتغني وتستريح البال.. لأن انها ـ من هذه الدقيقة ـ سوف تصبح مواطنة تفكر وتحمل الهموم وتجمع القرش فوق القرش لكي يصنع بلدها الرصاصة فوق الرصاصة .

من الآن فصاعدا سوف تجمع أم كلثوم كل قرش لكي تعطيه لبلدها. ألف جنيه، عشرة آلاف جنيه مائة الف ، نصف مليون، مليون ٢ مليون جنيه ! هذا هو الرقم الذي وصلت اليه أخيرا التبرعات والايرادات التي جمعتهـــا أم كلثوم خلال سنتين تبرعات اختيارية تبرعات قدمها الجمهور الى بلده بوســاطة أم كلثوم قدمها خلال عشرين حفلة غنت له فيها أم كلثوم

والسؤال الآن لمــاذا ؟

لمــاذا كل هذا النجاح ؟

لمــاذا الآن لماذا بهذه السرعة بهذا الاقبال ؟

ان جزءا من الاجابة سوف نجده في شخصية أم كلثوم نفسها. ولكن الاجابة الكاملة سوف تجدها في تفسير آخر

تفسير فني لعمل سياسي قامت به أم كلثوم

البكباشى انور السادات مع ام كلثوم، على سلم الطائرة قبيل سفرها الى امريكا للعلاج

لقد اعطت ام كلثوم نموذجا لما يستطيع الفنان - والفنان فقط - ان يفعله لبلده . نموذجا شهده التاريخ من قبل مئات المرات وسوف يشهده مئات المرات

ان الفنان هو - فى الواقع - اكثر من يحب بلده من ابناء بلده الفنان يستطيع أن يحب بلده فى ساعة حبا لا يستطيعه غيره فى سنة . الفنان - اديبا او موسيقيا او رساما أو كاتبا أو صحفيا او مطربا - يستطيع أن يترجم لك الوطنية الى أشياء بسيطة مفهومة الى هواء نقى تتنفسه ، وأرض حرة تعشقها . ان الجمهور عند الفنان سواء الشاب والعجوز المرأة والرجل، اليمينى واليسارى ، الرجعى والتقدمى كل هذه التقسيمات تختفى من قاموس الفنان ليحل محلها تقسيم آخر مختلف مواطنون يحبون بلدهم وأعداء يحتلون أرضهم

بهذا المعنى تتحول السياسة عند الفنان الى شيء خال من التعقيد والفلسفة السياسة هنا هى الدفاع عن الارض • دافع عن حياتك • عن سمائك • عن هوائك • عن بلدك • دافع عن أرضك •

فى هذه النقطة يقف الفنان فى المقدمة انه ليس خلفنا ، ليس بجانبنا ، انه امامنا ، لأن الفنان ـ يقول مكسيم جوركى ـ هو اكثر البشر التصاقا بالارض

لهذا السبب فان الشخص عندما يصبح فنانا فانه يتحول الى نموذج الى رمز رمز لكل ماهو جميل وباق ومحبوب ومستمر فى بلده ••

ولقد بدأت شخصية أم كلثوم تحمل هذه البذور منذ فترة طويلة مضت ، لقد دخلت الى المسرح تغنى مرة فى شهر فبراير سنة ١٩٤٩ ، ولكنها قبل أن تغنى فوجئت بضابط يستوقفها ليقدم اليها خطابا مغلقا ماهذا الخطاب ؟ ماذا بداخله ؟ ورقة ؟ آه ما هو المكتوب فى الورقة ؟ مش معقول انه رجاء يقدمه اليها ضباط وجنود الفرقة المصرية المسلحة التى يحاصرها الاسرائيليون فى الفالوجة « نريد أن نسمع منك فى حفل الليلة المذاع بالراديو اغنية غلبت أصالح فى روحى » ! قطعة غنائية تحولت الى مهمة وطنية لياتها قطعت أم كلثوم وصلتها الاولى لتقدم الاغنية المطلوبة كما لم تغنها من قبل ••

وفى حرب ١٩٥٦ كانت القنابل تتساقط على محطات ارسال الاذاعة ، والانوار مطفأة داخل استوديوهات الاذاعة نفسها ، ولكن أم كلثوم دخلت الاستوديو لتحفظ أغانيها للمعركة وتسجلها على ضوء الشموع

وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ لم تنتظر أم كلثوم الدعوة من أحد لكى تؤدى دورها ـ واجبها ـ كمواطنة كفرد عادى لقد بادرت بالدعوة الى اقامة تجمع وطنى للمرأة المصرية •• تجمع يساهم بأى مجهود لترميم ـ ثم تعبئة ـ المشاعر الوطنية للمرأة المصرية بعدها قادت الحملة لجمع تبرعات المواطنين الذهب الاموال الهدايا أى مبلغ أى هدية ، أى رمز يكفى للتعبير عن مساهمتك لبلدك دور بدأته أم كلثوم مبكرا بعد النكسة مازال الدور مستمرا ••

وفى كل الاحيان كان المعنى أكبر من المبالغ المتجمعة، الرمز أكبر من المال خذ مثلا تلك العروس التى ذهبت لتحضر حفل أم كلثوم

بمدينة المنصورة (فبراير ١٩٦٨) حفلا أقامته أم كلثوم لصالح تبرعات ازالة آثار العدوان ان العروس قدمت دبلة زواجها لكى يجرى عليها مزاد فى الحفل وفى لحظات تسابق الجميع على شراء الدبلة دون أن يسترد أحدهم الرقم الذى عرضه ونسخه آخر ان الدبلة ثمنها جنيه ولكنها بيعت بألفى جنيه !..

وقبل أن تمضى خمس دقائق على هذا الرقم فكرت طفلة صغيرة كانت تحضر نفس الحفل لقد تقدمت الطفلة بحفنة من تراب المنصورة فى كيس صغير من الحرير لكى يجرى عليها المزاد بنفس الطريقة التى جرى بها على دبلة العروس ، فى لحظات بيعت حفنة التراب بثلاثة الاف جنيه .. هذا ترابنا .. أرضنا .. نفديها بمالنا بحياتنا .. هذا هو المعنى الذى استطاع الفنان – استطاعت أم كلثوم – أن تحوله الى رمز ونموذج ..

و

هذا هو الجانب الآخر فى شخصية أم كلثوم الجانب الذى يجب أن ينتهى اليه كل تقييم لأم كلثوم ، لقد تابعنا – طوال صفحات الكتاب – شخصية أم كلثوم من زوايا عديدة أم كلثوم عندما تغنى عندما تختار ما تغنيه ، وعندما تستريح مما تغنيه، أم كلثوم على المسرح .. وفى البيت .. مع المستمع .. ومع الشاعر والملحن . ثم – الآن – أم كلثوم كشخصية وطنية ، كفرد عادى ..

انها جوانب مختلفة من حياة أم كلثوم وشخصيتها ان الصفحات السابقة قامت « بتفكيك » شخصية أم كلثوم وحياتها. والصفحات القادمة ستحاول اعادة ربط شخصية أم كلثوم وحياتها من جديد

ان ما يهم فى حياة أم كلثوم ليست الطريقة التى ترويها بها ولكن الطريقة التى عاشتها بها . ان ما تحتاج امرأة أخرى الى اختراعه .. جربته هى .. ما تنسجه أخرى من الخيال .. مارسته هى .. ما تحلم بنصفه أى امرأة .. حصلت عليه أم كلثوم كاملا انها غنت كما لم يغن أحد فاستمع اليها الجمهور كما لم يستمع لأحد، ان بلدها أحبها كما لم يحب أحدا، فأحبت هى بلدها كما لم يحبه أحد انها – باختصار – غنت وأحبت فاستمرت فى سنوات لا يستمر فيها أحد !

ان السبب فى هذا كله كان بسيطا بقدر ما كان صعبا انها استطاعت أن تخلص وتركز وتمثل مشاعر جمهور كامل على

MisrFone

غناء ورقص شعبي في المغرب   احتفالا بأم كلثوم

امتداد جيلين أو ثلاثة ظاهرة مألوفة فى حياة كل شعب ، ففى أوقات معينة من التاريخ يستطيع شخص واحد ـ فنان واحد ـ أن يكون رمزا لذوق شعبه ومشاعره

هذا ما فعلته أم كلثوم٠ فعلته فى القاهرة وفى الخرطوم، فعلته فى المغرب ، فى الكويت ، فى تونس ، لبنان ، ليبيا ، فعلته٠٠

حتى فى هونج كونج حتى فى كندا !

ان هونج كونج هى بلد الغرائب ولكن الغريب بالنسبة لى كان ما يلى ٠ سيدة مصرية متزوجة ٠ انها متزوجة من مدير فندق هيلتون بهونج كونج٠٠ انها مقيمة هناك منذ أربع سنوات٠ شقة أنيقة فى الدور الثالث من الفندق

وقبل أن أغادر هونج كونج سألت السيدة المصرية مجاملا

ـ الا تريدين أى شىء من مصر ؟

ردت السيدة بلهفة آه ارجوك !

ـ ماذا ؟

ـ أسطوانات أسطوانات أم كلثوم ان أحدث أسوانة عندى هى « انت الحب » أريد أسطوانات كل الاغانى التالية لها لا تنس أرجوك لا تنس !

MisrFone

★ ★ ★

ومن هونج كونج فى الشرق الاقصى ـ الى كندا فى أقصى الغرب، تكررت لى نفس التجربة !

لقد ذهبت الى كندا مرة فى مهمة صحفية ، ان كندا بلاد بعيدة بعيدة بلاد تفصلنا عنها صحراء وبحار ومحيطات و ١٧ ساعة بالطائرة ، بلاد ناتمنها على أربعين ألف مواطن عربى يعملون هنا ويعيشون هناك

اننى سوف أنسى أشياء كثيرة قبل أن أنسى لقاءاتنا كل ليلة فى أحد المطاعم المملوكة للعرب بمدينة مونتريال مطعم صغير ، ولكنه كان كبيرا جدا بالنسبة لنا لان صاحبه يمتلك عدة شرائط سجل عليها أحدث أغانى أم كلثوم ، (أحدث هنا تساوى عشر سنوات مضت !) ـ كنا نلتقى كل ليلة ـ مجموعة من المواطنين

مصر التى فى خاطرى وفى فمى ..

العرب وانا٠٠ ثم نبدأ فى سماع أغانى أم كلثوم شيء واحد أجمعنا عليه٠ أن بلادنا كلها تعيش فى هذا الصوت نيل مصر جبال لبنـــان تلال الاردن لهيب الجزائر ســحر المغرب حضارة بغداد ، تاريخ القاهرة عمق المحيط صفاء السماء اتساع الصحراء ٠٠

واحيانا كان هذا كله يختفى عندما يتعطل جهاز التسجيل لحظتها يسكت هذا كله ٠ يتحول الى صدى ذكرى أمل والى أن ينجح أحدنا فى اصلاح الجهاز ٠٠ فان كل لحظة تزن فوقنا كجبل ٠ ثم يعود الصوت ٠ تعـود بلادى بلاده بلادها بلادنا ٠٠

كيف حال بلادنا ؟٠٠

بلادنا تستعد ٠٠ شبابنا يحارب ٠٠ ارضنا ترويها الدماء

واسال ام كلثوم ماذا تقرئين الآن ؟٠٠

وهى ترد قصيدة شعر لنزار قبانى يقول احد ابياتها

الى فلسطين طريق واحد يمر من فوهة بندقيــة

هنا تقول ام كلثوم : ان القضية قضية ارض فلسطين لم تكن أرضا خالية من السكان ٠ فلسطين كانت شعبا يملك الارض ٠ والشعب يجب أن يعود ٠ ليست المسالة احسانا يقدمه العالم الى اللاجئين ٠ أن فدائيينا كســبوا لنا فى سنة ما لم تكسبه لنـا أصواتنا فى عشرين سنة٠٠

MisrFone

واسال : ام كلثوم ماذا تتصورين أننا نحتاج اليه الآن؟٠٠

وام كلثوم ترد رصاص وعمل

هذا كل شيء

هل نحتاج الى شيء آخر ؟!٠٠

الدكتور طه حسين .. مع أم كلثوم

مصر فون
MisrFone

ماذا يبقى من أم كلثوم

أو محاولة لفهم الشخصية الفنية

مصر فون
MisrFone

« لا يهمني من يضع للنـــاس شرائعهم
مادمت أنا الذى أصـنع لهم أغانيهم »
كونفوشيوس

الا المرأة ! ..

عندما يصاب كل كتاب التاريخ المصرى بفقد الذاكرة !..

فأى شخص يتعرض لتاريخ المرأة فى مصر لن يجد نموذجا واحدا لامرأة يحييها المؤرخون ، أو حتى يؤرخ لها المؤرخون !..

فالمرأة عندما ظلت لفترة طويلة صورة ملحقة بأصل أكبر منها وأهم الرجل ..

المرأة فى تاريخنا ظل . خيال. صدى. ان المؤرخين لايتحدثون عنها الا من خلال رجل .. أو عن طريق رجل .. أوبوساطة رجل!

و .. هذه أول قاعدة ساهمت أم كلثوم فى كسرها ..

ان ما يبقى ـ او يجب ان يبقى ـ من ام كلثوم هو هذا : ان المرأة تستطيع هى ايضا ان تساهم بشكل رئيسى فى حياتنا العامة .. وفى قضايانا العامة . ان ام كلثوم ـ كامرأة ـ لم تنتظر الدعوة من أحد لكى تبدأ نشاطا وطنيا عاما بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وقبلها نشاط مستمر. النقطة هنا هى أن المرأة يمكن ، تستطيع ، بل تقوم فعلا ـ بتحويل السياسة الى عمل بسيط يؤديه كل مواطن ، المرأة هنا تستطيع أن تشارك ، تدعو ، تفكر، تتقدم تبادر ، ثم تعطى المثل لم تعد المرأة هنا تحتاج الى أن تبرر نفسها مرتين مرة كامرأة .. ومرة كمواطنة . لقد سقط الحاجز الذى كانت المرأة تجلس خلفه .. كامرأة .. وبسقوط هذاالحاجز بقيت الصفة الاساسية للمرأة انها مواطنة أولا .. ثم امرأة بعد ذلك

هذه نقطة ..

ولكن أم كلثوم فنانة مثلما هى امرأة

هنا ايضا نستطيع أن نكتشف ماذا يبقى لنا منها كفنانة . لقد

من وجـه ام كلثوم خال من الزوايا الحـادة القاطعة • وجه يفضـل
ان يستمع اولا فى كل مناقشة •• قبل ان يبدأ الحديث •

اثبتت أم كلثوم من قبل أن المرأة لاتستطيع أن تكون مواطنا محايدا فى القضايا العامة · انها هى أيضا يجب أن تتصدر الصفوف

وما يبقى من أم كلثوم كفنانة هو أن الفنان أيضا لا يمكن أن يكون محايدا الفنان لابد أن يكون « مع » و « ضد »· الفنان لا يستطيع أن يكون عديم اللون والطعم والرائحة لابد للفنان أن يكون له طابع لون موقف

فعندما جاءت أم كلثوم الى القاهرة كانت تستطيع بسهولة أن تكون مجرد مطربة أخرى تردد الاغانى الخليعة السائدة مجرد مبتدئة تكرر ما نجح فيه غيرها مجرد صدى ولكنها اكتشفت أنه لابد للفنان أن يختار · لابد ـ لأن الفن هو أولا اختيار

وحينما يختــار الفنان فانه يفعــل ذلك دون أن يلوى ذراع الجمهور لا يستطيع لا يمكن

★ ★ ★

عند هذه النقطة بالضبط سوف نجد أنفسنا وجها لوجه أمام الدور الحقيقى للفنان ـ لأى فنان ـ دون نسيء فهمه غالبا ، دور يفرض علينا أن نفهم الفنان أولا حتى يفهمنا الفنان !··

★ ★ ★

ان الفنان هو أولا متفرج انه متفرج كأى شخص ولكنه ليس كأى شخص !··

الفنان متفرج من حيث أنه يعيش فوق نفس الارض التى نعيش عليها جميعا · يتنفس نفس الهواء ينفعل بنفس الاحداث

ولكن الفنان يأخذ تلك اللحظات التى هى بالنسبة لنا مجرد لحظة زائد لحظة زائد لحظة أخرى ·· ثم ينقلها الينا مرة أخرى كسلسلة جديدة مترابطة من الزمن لها معنى جديد وتفسير جديد ··

ان الشخص العادى يرى صورة الحياة مجزأة منظرا منظرا· يرى الجزء الذى يهمه ، ولكن الفنان يرى ـ أو يحاول أن يرى ـ الصورة كلها فالشخص العادى يرى الشجرة والفنــــان يرى الغابة

من هنا بالضبط يبدأ الفنان فى الانفصال عن الشخص العادى·

فالشخص العادى يعيش حياته بالاقدمية مجرد تسجيل أقدمية زمنية فى الحياة ولكن الفنــــان ليس كذلك انه ليس قطعة

MisrFone

اسفنج تمتص الالوان وتعيدها الينا دون تغيير انه يعيدها الينا الوانا جديدة بمعان جديدة ·· ومضمون جديد فن

والفنان ـ عندما يكتمل ـ فانه يتعلم أن يفكر ويشعر ويرى بشكل جديد ، طريقة خاصة أسلوب مختلف وهذا هو الأمر الصعب دائما فى أى شىء

ان الروائى الفرنسى الشهير فلوبير كان يقول لكل واحد من تلاميذه اذهب وسر خطوتين ثم اكتب لى ما رأيته فى مائة سطر !··

هذا حقيقى

فالفنان لابد أن يرى ما لا يراه غيره يلاحظ ما لا يلاحظه غيره يتفرج كما لا يتفرج غيره

★ ★ ★

وكل منا هو فى الواقع فنان بدرجة أو بأخرى ان الغريزة التى تدفعنا الى أن نطابق بين ألوان جواربنا وأربطة عنقنا وتدفعنا الى أن نضع ازرارا على ملابسنا ·· هى نفسها الغريزة البدائية التى تدفع الفنان فيما بعد الى البحث عن الجمال فى كل شىء قبيح كلنا اذن فنانون بشكل ما ·· بالرغم من اننا لانعرف ذلك غالبا· اكتشاف · تماما كالبطل فى احدى مسرحيات موليير·· عندما يشعر بسعادة بالغة لأنه اكتشف ـ فجأة ـ أنه كان طوال حياته يتكلم النثر !!··

نحن اذن نحتاج الى النظرة الفنية فى حياتنا نحتاج الى وجودالفنان واذا لم نجده اخترعناه فكل جيل يتولى اختراع الفنانين العظماء الذى يقدم لهم تقديره واعجابه ··

★ ★ ★

ومن الاقوال المأثورة أن كل شعب يحصل على الحكومة التى يستحقها ··

ولكن الاقرب الى الحقيقة أن كل جمهور يحصل على الفنانين الذين يستحقهم لان كل جمهور يسعى دائما الى أن يتعرف على حقيقته والفن يقوم ـ فى جزء منه ـ بهذه المهمة · الفن ـ كما قال الروائى الانجليزى د·هـ· لورنس يخبرك بالحقيقة عن عصره أو ـ كماقال كارل ماركس ـ الفن هو دائما الحركة الخالدةلعصره أو ـ يقول الفنان الشهير بيكاسو ـ اننا جميعا نعرف أن الفن ليس هو الحقيقة · ان الفن هو الاكذوبة التى تجعلنا ندرك الحقيقة

ان الصفة الاساسية للفن اذن هى أنه يكتشف ويدرك لحسابنا انه يعطينا الوجه الآخر ـ الوجه الخفى ـ لحياتنا .

★ ★ ★

والفنان حينما يقوم بهذه المهمة فانه يقوم بها لحسابنا جميعا. لحساب جمهوره . فلاتصدق أنه يوجد فنان لايهتم بالجمهور كذب . الفنان لايمكن أن يستغنى لحظة عن الناس وعن الجمهور .. الآن أو بعد مائة سنة . بل ان الفنان الروائى تولستوى ـ فى تعريفه للفن ـ يقول انه « نشاط انسانى يحاول فيه واحد من الناس أن ينقل احساسات معينة عاشها هو .. لكى يتأثر بها الآخرون ويعيشون هم أيضا »

ان جوهر هذا الرأى لتولستوى يتشابه مع نظرية أخرى فى الشعر وثالثة فى القصة ، ورابعة فى الغناء نظرية تصر على أن الفنان هو « انسان يتحدث الى الناس » ..

لهذا السبب فان الفنان يجد نفسه دائما فى وضع واحد مع السياسى والقديس ان الثلاثة هم الذين يحكمون العالم ـ الآن وفى أى وقت . الثلاثة عبيد لـ ـ وسادة على ـ المجتمع الذى يعيشون فيه الثلاثة يحتاجون دائما الى جمهور ، ولهم دائما جمهور ولكن من الصعب أن نقول أيهم يملك السلطة الاكبر بالنسبة لجمهوره .

ان السياسى يملك السلطة والقديس يهدد بالجحيم والفنان يغرى بالجمال ..

وبالنسبة للسياسى فان العالم ينقسم الى قسمين أصدقاء وأعداء . الذين معه .. والذين ضده .

وبالنسبة لرجل الدين ينقسم العالم الى قسمين آخرين مؤمنين .. وكفار . الذين يؤمنون والذين يكفرون

أما الفنان ـ فمازال العالم ينقسم عنده أيضا الى قسمين الذين يحبون والذين لا يحبون . الذين يتذوقون الجمال .. والذين لا يتذوقونه ..

انه اذن تقسيم مختلف اهتمامات مختلفة. جمهور مختلف

وأحيانا يكون الجمهور واحدا بالنسبة للثلاثة ، ولكن معنى هذا الجمهور يختلف .

أم كلثوم مع الصحفى اللبنانى الكبير سعيد فريحة وشاعر الأغنية (هذه ليلتى) جورج جرداق

أحيانا تكون الايدى التى تصفق للجميع هى نفسها
ولكنها عندما تصفق للسياسى فهى تقول موافقون
وعندما تصفق للقديس فهى تقول مؤمنون
وعندما تصفق للفنان فهى تصيح اعطنا المزيد أعد

ان الجمهور يقول ذلك للفنان بغير سلطة يخشاها أو جنة تغريه اختيار .. لان الفنان هو الوحيد الذى يعيش بعقله .يعيش على ذكائه وذكائه فقط انه يلعب على المكشوف ان أوراقه كلها يراها الجمهور

★ ★ ★

لهذا السبب نفسه فان الفنان يحتفظ بأذنه دائما قريبة من أيدى الجمهور. وكلما صفق له الجمهور أكثر احتاج هذا لتصفيق أكثر المسألة كمياه المحيط كلما شربت منها أكثر عطشت أكثر ان الفنان هنا كالبطل فى احدى روايات بلزاك حينما يطل على باريس ويصيح لم يزل أمامى أن أمتلك هذه !.

★ ★ ★

ولكن الفنان لا يحصل على اعجاب الجمهور بسهولة واذا حصل عليه أصبح صعبا أن يحافظ عليه .

المسألة هنا كطرفى مقص كلما حصل الفنان على اعجاب من الجمهور شعر بخوف أكبر من فقدان هذا الجمهور . خوف من ألا يتلقى هذا الاعجاب مرة أخرى

ان الذين يعرفون أم كلثوم عن قرب يعلمون أنها تعتبر أن كل أغنية جديدة تقدمها للجمهور هى أغنيتها الاولى هى لقاؤها الاول مع الجمهور انها تحس بخوف باضطراب ، بقلق بمسئولية انها تحس أن كل عمل جديد تقدمه هو استفتاء جديد لشعبيتها هذه المسئولية نحو الجمهور ، هذا القلق يشغل كل فنان أصيل بأكثر مما نتصور وكلما كبر الفنان زاد قلقه زادت مسئوليته ان أى شخص كلما ارتفع فوق السلم.. ازدادت خشيته من السقوط لانه كلما كان مرتفعا كان السقوط مدويا

وسقوط الفنان يمكن أن يتم فى أى لحظة لا يكفى أن تكون فنانا أمس ولا منذ خمس دقائق يجب أن تكون فنانا الآن وفى كل لحظة ان بيرجنت بطل مسرحية هنريك ابسن يصيح قائلا أين ثلوج شتاء مضى ؟!

والجمهور يفعل نفس الشيء لقد ذابت بالنسبة له ثلوج شتاء مضى ذابت أمجاد يوم مضى . ماذا من جديد .. هذا مايهم الآن

ان هذا الخوف من - والحاجة الى - الجمهور - هو ابرز ما يميز الفنان عن غيره فى هذا العالم ان الجمهور بالنسبة للفنان هو المكافأة وهو العقاب هو البداية والنهاية . السعادة والألم القمة والقاع

هذا معناه أن الجمهور يملك دائما حق الفيتو بالنسبة لأعمال الفنان حقا يحمى أهل الفن دائما من أهل الهوى ويميزهم عن أهل الهوى

فالفن يرفض التكرار حتى ولو طلبه أهل الهوى
والفن لا يقبل الوساطة حتى ولو حاولها أهل النفوذ
والفن لا يأخذ رشوة حتى ولو دفعها أهل الغنى

كل الفنون هكذا أدب موسيقى رسم شعر صحافة وغناء

انها علاقة مباشرة تجعل الفنان دائما أصدق ممثل للجمهور. فالفنان الصادق دائما هو الذى يتقمص الصفات البارزة لشعبه.

من الذى يفوق فى امريكيته مثلا سبنسر تراسى أو هنرى فوندا أو هنرى ميللر . من الذى يفوق فى ايطاليته البرتو مورافيا او انا مانيانى ؟ من الذى يفوق فى فرنسيته جان بول سارتر أو بريجيت باردو ؟ من الذى يفوق فى مصريته طه حسين أو العقاد أو أم كلثوم ؟

كلهم يحملون فى أعمالهم بصمات شعوبهم واضحة صفات مجتمعهم كاملة اتفق أو اختلف مع هذه الصفات كما تشاء.. ولكنهم فى النهاية رمز وتلخيص لها

★ ★ ★

والفنان - بجانب مهمته كمتفرج على الحياة - هو أيضا مفسر لهذه الحياة . انه مؤرخ للماضى ومكتشف للمستقبل فىوقت واحد صعوبة جديدة تضاف الى الصعوبات السابقة فى عمل الفنان

فالفنان عندما يكون كاتبا فانه يصبح كالطبيب لا تهمه حالات اكتمال الصحة ولكن تثيره حالات تفشى المرض

وعندما يكون اديبا يصبح كالفلكى يبدأ بما يراه الجميع لكى يصل الى ما لا يراه الجميع ٠

وعندما يكون موسيقيا أو ممثلا أو مغنيا يصبح كالشمعة لابد أن تحترق ٠٠ لكى تنير للآخرين لابد أن يتألم الفنان لكى يسعد الآخرين

فالشمعة فى يد الفنان تحترق من طرفيهـــا لابد للفنان أن يتعذب يقاسى يتألم ، أحيانا يستشهد لكى يقـدم للآخرين شعاعا من النور يهديهم الى الطريق

وكثيرا ما لا يرى الناس أثرا لهذا العذاب فى عمل الفنان تماما مثلما نلاحظ فى حياتنا العادية أن كثيرا من الاشياء التى ناكلها قد طبخت على موقد بوتاجاز٠٠ ولكننا لا نعثر فى الطعام على مذاق البوتاجز

لهذا السبب كان الموسيقار الالمانى الشهير بيتهوفن يقول دائما انى أصبر وأفكر وأتألم ٠٠ فكل الم يجلب معه بعض الخير !

ان هذا الامل ـ الامل فى بعض الخير بعد كل العذاب ـ هو العزاء الاخير لأى فنان عن المه مثلمـــا نجد أن نجاح انطلاق الصاروخ فى دقيقة هو العزاء الاخير لسنوات من الجهد الذى بذله المهندسون والعلماء فى تركيب هذا الصاروخ

ان الخوف من الجمهـــور يسبب أقصى الألم ولكن مكافأة الجمهور تسبب أقصى سعادة شعور عـــبر عنه حكيم الصين القديمة كونفوشيوس بقوله « لا يهمنى من يضع للناس شرائعهم مادمت أنا الذى أصنع لهم أغانيهم » ٠

لأن الفن فى النهاية تعبير الانسان عن سعادته

★ ★ ★

و أم كلثوم هى أولا امرأة وثانيا فنانة وثالثا فنانة تسعد الناس

وبالمنطق

ليس من حقنا أن نستهلك السعادة دون أن ننتجها كلمات نظرية لاننا نرى غير ذلك فى حياتنا ٠ نستهلك الثروة دون أن ننتجها نستهلك الجمال دون أن نخلقه و نستمع الى أم كلثوم دون أن ننتج أم كلثوم أخرى ولسوف يظل الامر

هكذا الى أن نفهم أولا طبيعة الفنان كشخص متميز نفهم ثانيا ماذا يتبقى لنا من الفنان من أم كلثوم فى حالتنا هذه

ان أم كلثوم فنانة تغنى. قمة فى فنها. مستمرة فى قمتها. ان استمرارها هذا نجاح فى حد ذاته فمع صدام الاجيال المستمر الذى تشهده الانسانية .. لا يوجد جيل يتقبل أحكام وأذواق الجيل السابق عليه بغير مراجعة أحيانا وبالرفض غالبا ان هذا لم يحدث مع أم كلثوم استثناء خاص

ان هذا الاستثناء لم يكن مجاملة شخصية لأم كلثوم فالفن لا يقبل المجاملات وانما هو نتيجة لصفات استثنائية تميزت بها أم كلثوم صفات حاول هذا الكتاب تسجيل عناوينها الا صفة أخيرة هى حياة أم كلثوم نفسها

فنحن - فى الادب مثلا - نرى أن هناك نوعين من الفنانين نحن نرى فنانين تطغى أعمالهم الفنية على حياتهم شيكسبير مثلا نحن لا نعرف من هو شيكسبير .. أو من كان هومر . لقد اختفى الفنان هنا داخل عمله وتراجعت حياته وشخصيته الى الخلف تماما

وفى مقابل ذلك نجد فنانين طغت حياتهم على أعمالهم الفنية. جان جاك روسو مثلا ان اعترافاته التى سجل فيها حياته أصبحت أهم عمل فنى له لقد أصبحت حياته نفسها عملا فنيا تراجعت الى جانبه كل الاعمال الاخرى

★ ★ ★

وبالنسبة لأم كلثوم فاننى أرى أنها تنتمى الى النوع الاول فى المدى القصير ، وتنتمى الى النوع الثانى فى المدى الطويل . ان السنوات القادمة سوف تؤكد ذلك .

تؤكد أن حياة أم كلثوم هى نفسها العمل الفنى الاكبر الذى تركته لنا ..

و

كم الساعة الآن - لو سمحت ؟!

محمود عوض

مصر فون
MisrFone

كتب للمؤلف :

- أم كلثوم التى لا يعرفها أحد

(طبعة ثالثة)

- مصرى بمليون دولار

(طبعة ثانية)

- محمد عبد الوهاب

(تحت الطبع)

- أيام سقطت من «الايام»

(تحت الطبع)

مصر فون
MisrFone

كتاب اليوم القادم

حياة قلب

بقلم

أحمد الصاوى محمد

يصدر فى

أول مارس

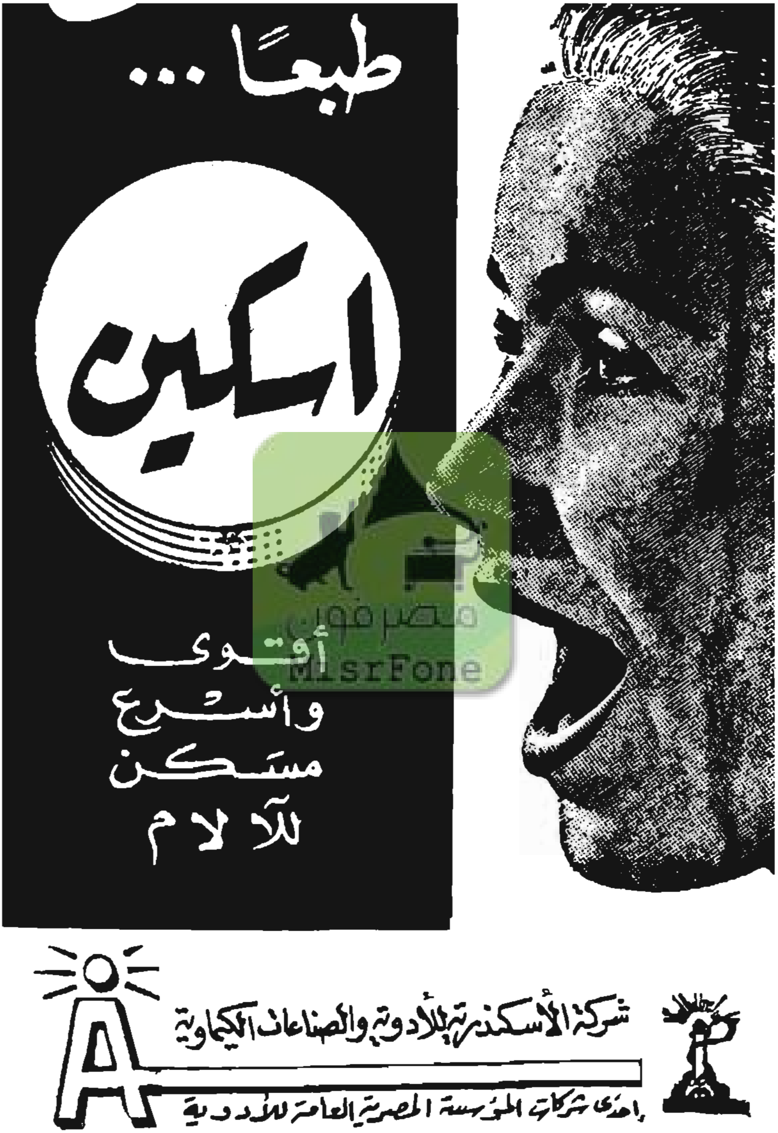

مصر فون
MisrFone

بنك القاهرة

استقرار الحاضر وطمأنينة المستقبل
يحققهما لك ولأسرتك

الحساب الشخصي

بدون مصاريف
فائدة ٣،٥٪ سنويا
الايداع والسحب فوراً من كافة فروع البنك
يخدمك أينما سافرت

جوائز اليانصيب

يشرف البنك على عمليات اليانصيب وتصرف الرابحة من جميع فروعه

صندوق التوفير

فائدة
٣،٥٪ سنويًا

خزائن حديدية

بايجار زهيد
لحفظ كل ما تخشى عليه من السرقة أو التلف أو الضياع من مستندات ومقتنيات

الادارة العامة : ٢٢ شارع عدلي - القاهرة

صدر من كتاب اليوم

خواطر واحاديث	احمد حسن الباقوري
فنان في باريس	فتوح نشاطي
بلاد الله .. خلق الله (طبعة ثالثة)	انيس منصور
النساء لهن أسنان بيضاء	احسان عبد القدوس
ايام لها تاريخ	احمد بهاء الدين
الغــــاضبون	كامل زهيري
مصرى في فيتنام والصين وكوريا	أحمد حمروش
صور مقلوبة	أحمـد رجب
القمر في انتظارنا	مجـدي نصيف
ام كلثوم التى لا يعرفها احد	محمود عوض
رجل من طين	سعد مكاوي
حقيبة في يد مسافر	يحيى حقي
ليلة نام فيها الشيطان	محمد التابعي
القرآن في شهر القرآن	د. عبد الحليم محمود
الكأس الاخيرة	ابراهيم المصرى
لست مسيحا اغفر الخطايا (طبعة ثانية)	محمد زكي عبد القادر
يحدث في الليل فقط	امين يوسف غراب
طويل يا زمن	عبد المنعم الصاوى
شخصيات عربية معاصرة	ابراهيم البعثي
شيوعيون في كل مكان	موسى صبرى
حين يميل الميزان	ثروت أباظة
صالة النجوم	محمد التابعي
قلت ذات يوم	توفيق الحكيم
الشيطان لعبته المرأة والمرأة لعبتها الرجل	احمد الصاوى محمد
الجديد في مرض السكر	د. جمال الدين غوردون
مشهورون منسيون	فتحي رضوان
اســــلاميات	خالد محمد خالد
العالم من ثقب الباب	كامل زهيري
توتة توتة	احمـد رجب
موعدنا بعد غد	عبد المنعم الصاوى

هذا الكتاب

نفدت عشرات الآلاف التى طبعت منه ..

نفدت الطبعة الأولى .. ونفدت الطبعة الثانية خلال ساعات من صدورهما ..

وهذا أمر طبيعى ..

فالملايين التى تعشق ام كلثوم فى مصر والعالم العـربى .. اكتشفت فجأة أنهـا لا تعرف عن ام كلثوم أكثر من ١٥٪ مما يجب أن تعرفه .

وجاء هذا الكتاب ليقدم فيه الكاتب الصحفى الشاب محمود عوض الـ ٨٥٪ الباقية ..

انها صفحات من مذكرات أم كلثوم .. وعنها .

صفحات نقدمهـا فى هـذا الكتاب : أحسن كتاب ، عن أحلى صوت ، بأرشق أسلوب .

مصر فون
Misrfone

١٥ قرشا